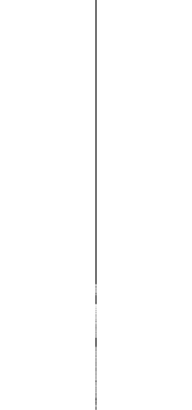
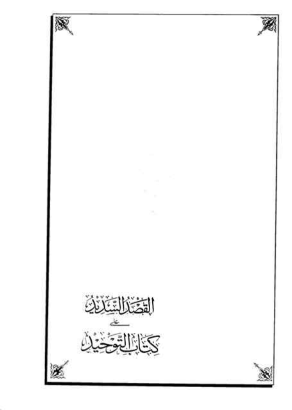
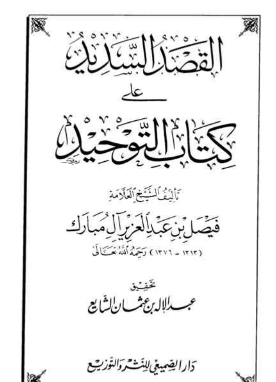



القصد السديد
على
كتاب التوحيد


بسم الله الرحمن الرحيم



القصد السديد

على

كتاب التوحيد

تأليف الشيخ العلامة

فيصل بن عبد العزيز آل مبارك

(١٣١٣ - ١٣٧٦) رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الإله بن عثمان الشايع

دار الصميعي للنشر والتوزيع

© عبدالإله عثمان الشايع، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل مبارك، فيصل بن عبدالعزيز
القصد السديد على كتاب التوحيد / فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك؛
عبدالإله الشايع .- الرياض، ١٤٢٦هـ
... ص، ... سم
ردمك: ٣-٥٥٧-٤٧-٩٩٦٠
١ - التوحيد أ - عبدالإله (محقق) ب - العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٢٦/١٣٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/١٣٧٣
ردمك: ٣-٥٥٧-٤٧-٩٩٦٠

الطَّبعَةُ الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١
المركز الرئيس - الرياض - شارع السويدي العام
ص . ب ١٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤٦٢
المملكة العربية السعودية
فرع القصيم - عنيزة - امام جامع الشيخ ابن عثيمين (يرحمه الله)
هاتف ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٣٦٢١٧٢٨



مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الموحدين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب «القصد السديد على كتاب التوحيد»[1] تأليف الشيخ العلامة المفسر فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، يطبع لأول مرة.

وقد تميّز هذا الشرح عن غيره من الشروح[2] بعدة ميزات منها:

* عناية الشارح - رحمه الله - بشرح أبواب الكتاب.

* عناية الشارح بتفسير الآيات القرآنية الواردة في متن كتاب التوحيد، وهذا ليس بغريب على عالم له باعٌ طويل في التفسير.

* انتقاؤه - رحمه الله - بعض مسائل كتاب التوحيد وبثها في ثنايا الشرح.

* توسُّط هذا الشرح فهو ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل.

* سهولة عبارة الشارح ووضوحها مما يجعل كتابه مناسباً لطلبة العلم على اختلاف مستوياتهم.

* تضمن هذا الشرح بعض الفوائد والزوائد التي لا توجد في الشروح

---

(١) لم يسمه مؤلفه بهذا الاسم، وإنما سماه سبط المؤلف الشيخ محمد بن حسن آل مبارك - حفظه الله -.

(٢) لمعرفة شروح كتاب التوحيد والكلام عنها وعن متن كتاب التوحيد انظر كتاب: عناية العلماء بكتاب التوحيد، لراقمه، وقد فاتني فيه ذكر هذا الشرح فليستدرك

الأخرى[1].

هذا، وقد كان الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على نسخة نفيسة وحيدة بخط المؤلف رحمه الله محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية حصلت عليها بواسطة الشيخ الفاضل محمد بن حسن آل مبارك ـ حفظه الله ـ ، وهي محفوظة في المكتبة المذكورة ضمن مجموع (زبدة الكلام) للمؤلف تصنيف رقم (٣/٢٥٨) ـ (٣/٢٢٩) رقم اللوحة (٦٥-١٠٠) في ٧٥ ورقة.

وقد قمت بنسخها ثم مقابلة المنسوخ على النسخة الخطية[2]، وكم عانيت من نسخ الكتاب لصعوبة قراءة خط المؤلف رحمه الله ، واعتنيت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها ، وعزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها مع نقل كلام العلماء عليها، مستفيداً من عملي السابق على كتاب « الدر النضيد على أبواب التوحيد » للشيخ العلامة سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان (ت ١٣٩٧) ـ رحمه الله ـ ، وكتاب « إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد» للشيخ العلامة حمد بن علي بن عتيق (ت ١٣٠١) ـ رحمه الله ـ .

ووثقت أكثر النقول ، وترجمت لبعض الأعلام غير المشاهير ، وصنعت فهارس للكتاب تقرب فوائده وتدني ثماره .

هذا ، و الله أسأل أن يغفر لمؤلف «كتاب التوحيد» الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت١٢٠٦) ـ رحمه الله ـ وشارح الكتاب الشيخ

---

(١) انظر فهرس الفوائد في آخر الكتاب ، فهو يغني في هذا المقام .

(٢) « تنبيه : أثناء مقابلة « كتاب التوحيد » على بعض النسخ المطبوعة وجدت هناك بعض الفروق من زيادة كلمة أو إتمام آية ، فلم أثبته ـ في الغالب ـ عليها رغبةً في الاختصار » ولأن مثل هذه الفروق ليست مؤثرة في الكتاب .

فيصل ، وأن يجعل ما قدمت ومن ساهم في مراجعة ومقابلة الكتاب[1] من العمل الصالح النافع يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتب

عبدالإله بن عثمان بن عبدالله الشايع
في مدينة الرياض يوم الأحد ٢٠/ ٧/ ١٤٢٥
ص. ب ٣٨٢٠٥٣
الرمز البريدي ١١٣٤٥

---

(١) ولا يفوتني هنا أن أشكر كلاً من : الدكتور إبراهيم بن عبدالله السماري ، والشيخ محمد بن حسن آل مبارك ، والشيخ رمضان عوف ، على ما قدموا لي من عون في إخراج هذا الكتاب ، أسأل الله عز وجل أن يبارك لهم في أوقاتهم وأعمالهم .

ترجمة الشـــارح

هـو الشيخ العـالم الـورع الزاهد فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد المبارك العلاّمة الفقيه المفسّر الأصولي النحوي الفرضي .

ولـد في حـريملاء عام ١٣١٣هـ فحفظ القرآن صغيراً، ثمّ طلب العلم على علماء حريملاء في وقته، منهم :

١ـ جـدّه لأمّه الشيخ العالم الورع ناصر بن محمد الراشد .

٢ـ وعمّه العلاّمة الشيخ محمد بن فيصل المبارك .

ثمّ طلب العلم على علماء الرياض، فأخذ الفقه عن فقهاء عصره منهم:

٣ـ الشيخ العلاّمـة عـبدالله بـن عبداللطيف آل الشـيخ رحمـه الله مفتي الديار النجدية.

٤ـ والشيخ العلاّمة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .

٥ـ والعلامة الفقيه محمد بن عبدالعزيز بن مانع رحمه الله .

٦ـ وأخـذ عـلم الحديث عن العلاّمة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله .

٧ـ وأخذ علم النحو عن الشيخ حمد بن فارس رحمه الله .

٨ـ وعلم الفرائض عن الشيخ عبدالله بن راشد الجلعود رحمه الله .

وكذلـك أخـذ عـن غيرهـم مـن أفذاذ العلماء ، منهم الشيخ محمد بن عبداللطيف ، والشـيخ ناصـر بـن عـبد العزيز بن حسن ، وغيرهما كثير ، رحمهم الله أجمعين

* إجازاته العلميَّة :

أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق بتدريس أمهات كتب الحديث، وكذلك أمهات كتب مذهب الإمام أحمد، وكذلك أجازه الشيخ سعد إجازة خاصَّة في علم التفسير .

وقد أجازه أيضاً الشيخ عبدالعزيز النمر إجازةَ الفتوى وهو في العشرين من عمره، وذلك عام ١٣٣٣هـ .

* تلاميذه :

تخرَّج على يدي الشيخ رحمه الله أجيالٌ من طلبة العلم، وقد وليَ كثيرٌ منهم القضاء في عدَّة جهات، من أبرزهم :

١- الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد - رحمه الله - قاضي الرياض ووادي الدواسر .

٢- الشيخ عبدالرحمن بن سعد بن يحيى - رحمه الله - قاضي الرياض وحريملاء .

٣- الشيخ فيصل بن محمد المبارك - رحمه الله - رئيس هيئة الحسبة وعضو مجلس الشورى بجدة .

٤- الشيخ سعد بن محمد بن فيصل المبارك - رحمه الله - قاضي وادي الدواسر ثم الوشم .

٥- الشيخ محمد بن مهيزع - رحمه الله - قاضي الرياض .

٦- الشيخ ناصر بن حمد الراشد - رحمه الله - رئيس ديوان المظالم .

٧- الشيخ محمد بن عبدالرحمن العباد - رحمه الله - صاحب كتاب (دواء القلوب) .

٨- الشيخ حمود بن مترك البليهد ـ حفظه الله ـ قاضي دومة الجندل .

٩- الشيخ عارف بن مفضي المسعر ـ حفظه الله ـ مدير التعليم ثم مساعد وكيل الأمارة بمنطقة الجوف .

١٠- الشيخ سعد بن عبدالرحمن المحارب ـ رحمه الله ـ القاضي بساجر .

١١- الشيخ محمد بن سليمان المهنا ـ رحمه الله ـ القاضي بالدوادمي سابقاً.

١٢- الشيخ سليمان الربيش ـ حفظه الله ـ القاضي بمحكمة الرياض سابقاً.

ويُلاحظ أن تلامذة الشيخ ـ رحمه الله ـ وبالأخص في الجوف لم يدرسوا إلا على يد الشيخ فيصل ، ومع ذلك تعيّن الكثير منهم بإجازات خطية من الشيخ قضاةً ودُعاةً في البلدان، وذلك لحسن ثقة الدولة ـ حفظها الله ـ في الشيخ رحمه الله وتلامذته .

* الشيخ فيصل وجهوده في العناية بعلوم العقيدة :

تولّى الشيخ فيصل ـ رحمه الله ـ القضاء في كثير من البلدان، وكان في كل بلد من هذه البلاد يدعو إلى التوحيد وإلى الالتزام بشرع الله وحده .

وكان يهتم بتقرير العقيدة الصحيحة لطلبة العلم، فكان أول ما يبتدئ في تعليمهم كتاب الله، ثم عقيدة أهل السنة وذلك بتدريسه «كتاب التوحيد» و « كشف الشبهات » ، و « الأصول الثلاثة » و « القواعد الأربعة » جميعها من تأليف شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، وغيرها

من كتب العقيدة [١].

وكثيراً ما يوجِّه الطلبة إلى الاهتمام بكتب أهل العلم لا سيَّما كتب العقيدة منها، وبالأخصِّ كتب أئمة الدعوة الإصلاحية، إذ يقول رحمه الله في وصيَّته لطالب العلم - والتي هي من أوائل مؤلفاته، إذ كتبها عام ١٣٥٤هـ -:

« ثم يبتدئ - أي طالب العلم - بحفظ القرآن - وينظر في التفسير، ثمَّ يقرأ في (ثلاثة الأصول)، وكتاب (التوحيد) للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ويحفظها، و يحفظ ما استطاع من سائر مختصراته مثل: (أصول الإيمان)، و(فضل الإسلام) - وغيرها من مؤلفاته النافعة، ويحفظ (العقيدة الواسطيَّة) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فإنَّه كتابٌ جامعٌ لأصول الدين »[٢] انتهى باختصار.

و قال الشيخ رحمه الله في مقدِّمة شرحه على « كتاب التوحيد » لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

« المصنِّف هو الإمام العالم التقي شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، مجدد القرن الثاني عشر، نشأ في بلاد نجد، وهم في أسوأ حال في أمور دينهم ودنياهم، قد فشا فيهم الشرك الأكبر والأصغر، وكانوا متفرقين

---

(١) انظر: مقدمة كتاب (توفيق الرحمن في دروس القرآن) للشيخ فيصل، بقلم محقق الكتاب عبدالعزيز الزير، رواية عن الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب وهو أكثر تلامذة الشيخ فيصل - رحمه الله - ملازمة له في تنقلاته.

(٢) (نصيحة جامعة ووصية نافعة) تحقيق د. عبدالعزيز بن عبدالله الزير، (ص٧٥ - ٧٦).

يُغيِّر بعضُهم على بعض ويقتل بعضُهم بعضاً، فدعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والاجتماع على دينه، فعمَدَ بعض أقرانه لردِّ دعوته بغياً وحسداً كفعل أعداء الرسل، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فصبر ومضى ودعا إلى الله على بصيرة، فنصره الله وأيَّده بهذه الشجرة المباركة، وهم آل سعود فقاتلوا الناس، وهدموا القبور التي تُعبدُ من دون الله وألزموهم بسنة رسول الله ﷺ، وهذا مصداق قوله ﷺ: « لا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحق لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »[1][2].

وقال ـ رحمه الله ـ عند شرحه لباب (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) عند شرحه لحديث « لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان » ، وبعد أن ساق قول الشوكاني في « شرح المنتقى » : « وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلاَّ فعلوه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حميَّةً للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً ولا وزيراً ولا ملكاً،فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أيُّ رزءٍ للإسلام أشدُّ من الكفر، وأيُّ بلاءٍ لهذا الدين أضرُّ عليه من عبادة غير الله، وأيُّ مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البيِّن واجباً .

---

(١) يأتي تخريجه (ص٢٢) .

(٢) القصد السديد على كتاب التوحيد (ص٢٢)

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

فقال الشيخ فيصل معقباً على كلام الشوكاني رحم الله الجميع :

« قلتُ : قد وجدنا ـ ولله الحمد ـ من قام بهذا الأمر، وهدم بعض هذه الأوثان، وأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مصنف هذا الكتاب، وذرّيته وأعوانه ـ رحمهم الله تعالى ـ ، وقد أيّدهم الله ونصرهم بآل سعود أعزّهم الله تعالى ونصرهم كما نصروا التوحيد وأهله »[1].

* مؤلفاته في علم العقيدة :

وكتب العقيدة تنقسم إلى قسمين :

قسم يعنى بتوحيد الإلهيّة ويركز عليه ، وقد ألف الشيخ في هذا القسم شرحه على « كتاب التوحيد » .

١ـ (القصد السديد على كتاب التوحيد) في مجلد ، وهو كتابنا هذا .

والقسم الثاني : يعنى بتوحيد الأسماء والصفات، ومن أشهر المتون التي اعتنت بهذا القسم « العقيدة الواسطيّة » ، فلذلك ألّف الشيخ رحمه الله شرحاً عليها باسم :

٢ـ « التعليقات السنية على العقيدة الواسطية » في مجلد صغير مخطوط، وهو ـ فيما يظهر لي ـ أقدم شرح على متن الواسطيّة. وقد انتهيت من

(١) القصد السديد على كتاب التوحيد (ص١١٩) .

تحقيقه يسر الله نشره .

* **أعماله :**

كـان ـ رحمه الله ـ يحضر بعض المشاهد مع الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ، وقام بالوعظ والإرشاد في بلدان الحجاز وتهامة .

وولـي القضاء في عـدَّة مناطق وبلدان كان آخرها منطقة الجوف حيث جلس لتعليم الطـلاب ونفـع المستفيدين ، وكان لـه جهودٌ مباركةٌ في نشر العقيـدة الصـحيحة والدعوة إلى الله تعالى في تلك النواحي، وقد تخرَّج على يديه أجيالٌ من طلبة العلم ـ في نجد والحجاز والجوف وجنوب المملكة ـ ، وقد وليَ كثيرٌ منهم القضاء في عدَّة جهات .

* **مؤلفاته :**

كـان للشيخ فيصـل ـ رحمه الله ـ اعتناءٌ كبير بالمتون العلميَّة المشهورة في شـتَّى العلوم الإسـلاميَّة، من عقيدة وحديث وفقه وفرائض ونحو وغيرها، فقد وضع شرحاً مفيداً ـ في الغالب ـ على كلِّ متنٍ من مهمَّات المتون.

* وعند الاستقراء نجد أنَّ كتب الشيخ رحمه الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

النوع الأول : الشروح للمتون العلمية، من شروح مختصرة أو مطوَّلة : فمن ذلك شرحه لـ«كتاب التوحيد»، وشروحه الثلاثة لـ «عمدة الأحكام» وشرحه للروض المربع ، وشرحه للآجروميَّة في النحو، وشرحه للرحبيَّة في الفرائض، وغير ذلك كثير.

النوع الثاني : اختصاره لكثير من الكتب المطولة مثل: « فتح الباري » ، و « نيل الأوطار » .

النوع الثالث: التأليف في الفنون تأصيلاً وابتداءً، مثل: تفسيره القيِّم، و« الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة » في الفرائض، و «تجارة المؤمنين» وغيرها .

و قد حظيت مؤلفات الشيخ رحمه الله بقبول من علماء نجد والجزيرة العربية، فقد أثنى عليها كثيرٌ منهم، بل وقُرِّرت للتدريس في المعاهد العلميَّة مثل كتابه : « خلاصة الكلام على عمدة الأحكام » .

قال الشيخ ابن سعدي في رسالة خاصَّة للشيخ فيصل رحمهما الله : «هديتكم لمحبكم « خلاصة الكلام على عمدة الأحكام » وصلَ وسررتُ به، وسألت المولى أن يضاعف لكم الأجر بما أبديتموه فيه من الفوائد الجليلة والمعاني الكثيرة، وسعيكم في نشره، لا زلتم تخرجون أمثاله من الكتب العام نفعها، العظيم وقعها »[1] .

* زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام :

عندما أقام الشيخ رحمه الله في الجوف في أخريات حياته ألَّف رحمه الله معلمة (موسوعة) مصغَّرة في العلوم الإسلاميَّة ضمَّت بعض شروحه رحمه الله على جملةٍ من المتون العلميَّة، سمَّاها « زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام » قال في أولها :

(أمَّا بعد، فإنَّ كتب العلم قد كثرت وانتشرت، وبُسطت واختُصرت، فرأيتُ أن أجمعَ منها ما يحفظه الطالب ويعتمد عليه، ونقلتُ من كلام أهل العلم ما يبيِّن بعض معانيه، ليكون أصلاً يُرجعُ إليه ، وجسراً يعبُرُ منه إلى

---

(١) عن رسالة بخط الشيخ عبدالرحمن بن سعدي موجهة إلى الشيخ فيصل رحمهما الله

غيره إن شاء الله تعالى ، والعالم الرباني هو الذي يربي الناس بأصول العلم وواضحاته، قبل فروعه ومشكلاته ، ورتبتُ الكتب التي أردتُ، فبدأتُ :

١. بـ « الأربعين النووية » .
٢. ثمَّ بـ « عمدة الأحكام » للمقدسي في الحديث.
٣. ثمَّ «كتاب التوحيد» .
٤. ثمَّ « العقيدة الواسطية » .
٥. ثمَّ « بلوغ المرام » .
٦. ثمَّ « الدرر البهيَّة » .
٧. ثمَّ « نبذة في أصول الفقه » .
٨. وختمتُها بـ« غذاء القلوب ومفرج الكروب » .

و سمَّيتُه « زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام » وأسأل الله أن ينفعني به وجميع من قرأه أو سمعه إنَّه لطيفٌ خبيرٌ ، آمين» .

* التفسير :

٣ـ «توفيق الرحمن في دروس القرآن » في أربعة أجزاء طبع مرتين، الأولى عام ١٣٧٦هـ على نفقة حسن بن حسينان ـ رحمه الله ـ ، والثانية عام ١٤١٦هـ عن دار العاصمة بالرياض، على نفقة بعض المحسنين، بعناية الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير ، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد .

٤ـ « القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطرة السليمة » منه مخطوطة في

مكتبة الملك فهد ، في مجلد، وهو كتاب بديع في معناه، لطيف في مبناه، يبحث في آيات الله الكونية، كالسموات والأرضين والقمرين والنجوم، وخلق الملائكة والجن والشياطين، وخلق آدم، ويأجوج ومأجوج، وفي علامات الساعة الكبرى والصغرى، وذكر بدء الخلق، والقلم والعرش والكرسي .

* الحديث :

٥- « لذة القارئ مختصر فتح الباري » في ثمانية مجلدات[١]، ذكر الشيخ عبدالمحسن أبا بطين أنه تحت الطبع، والشيخ عبدالمحسن من أعرف الناس بكتب الشيخ فيصل لأنه طبع أكثرها في مكتبته الأهلية، وبعضها طبعت بواسطته في غيرها من المكتبات[٢]، وقال الزركلي: «شرع بعض الفضلاء بطبعه».

٦- « بستان الأحبار باختصار نيل الأوطار » للشوكاني، الذي هو شرح لمنتقى الأخبار للمجد ابن تيمية في مجلدين، وقد طبع مرتين، الأولى في حياة الشيخ عام ١٣٧٤هـ والثانية عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ .

٧- « أقوال الأئمة الأعلام شرح كبير على عمدة الأحكام » في خمسة مجلدات[٣]، ويقوم الآن على تحقيقه الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير

---

(١) اعتمدت تسمية الشيخ عبدالمحسن أبا بطين للكتاب، بينما تسمي بعض المصادر المترجمة للشيخ الكتاب (تذكرة القارئ) .

(٢) مثل مكتبة البابي الحلبي بمصر .

(٣) منه نسختان كاملتان في مكتبة الملك فهد إحداهما في ستة مجلدات ، والأخرى في سبعة مجلدات ، وهناك نسخة خطيّة كاملة لدى الأستاذ عثمان ابن الشيخ =

وفقه الله، ثم اختصره الشيخ فيصل رحمه الله في مجلدين، ثم اختصره في مجلد أسماه (خلاصة الكلام)، والمختصر مطبوع .

٨ـ « شرح متوسط على عمدة الأحكام » في مجلدين ، مفقود.

٩ـ « خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام » للمقدسي، مجلد في أربعمائة صفحة، وهو اختصار لشرحيه على « العمدة » الكبير والمتوسط، وقد طبع أربع طبعات أولها عام ١٣٧٩هـ في مكتبة النهضة الحديثة بالرياض، وثانيها عام ١٣٨٠هـ بمكتبة التوفيق بالرياض، وثالثها عام ١٣٨١هـ في مكتبة البابي الحلبي بمصر، في ثلاث سنوات متتاليات، لما كان شرح الشيخ مقرراً على طلبة المعهد العلمي، وآخرها عام ١٤١٢هـ بمكتبة الرشد بالرياض، ومنه نسخةٌ مخطوطة في مكتبة الملك فهد.

١٠ـ « مختصر الكلام شرح بلوغ المرام» لابن حجر، طبع ضمن «المجموعة الجليلة»، وقد طبع « مختصر الكلام » مفرداً عن المجموعة في الرياض عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ .

١١ـ « تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين » مجلد ، طبع مرتين بدمشق أولاهما على نفقة الأمير عبدالرحمن السديري عام ١٣٧٢هـ وآخرهما على نفقة تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع عام ١٤٠٤هـ.

١٢ـ « تطريز رياض الصالحين »، طبع مؤخراً ـ في عام ١٤٢٣هـ ـ عن دار العاصمة، بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الزير، ومنه مخطوطة في مكتبة

= عبدالمحسن أبابطين، وأخرى مبيَّضة وصل فيها الشيخ إلى المجلد الأول ولم يكمله، وكل هذه النسخ بخط الشيخ فيصل رحمه الله .

الملك فهد .

١٣ـ « محاسن الدين بشرح الأربعين النووية » طبع ضمن المجموعة الجليلة، ثمّ طبع مفرداً.

١٤ـ « تعليم الأحبّ أحاديث النووي وابن رجب » وقد طبع قديماً ضمن « المختصرات النافعة » .

١٥ـ « نصيحة المسلمين » رسالة لطيفة طبعت في مكة المكرمة، في عام ١٣٥٤ هـ تقريباً ثمّ طبعت في الكويت في أواخر حياة الشيخ على نفقة الشيخ عطا الشايع الكريم الجوفي رحمهما الله .

١٦ - « وصية لطلبة العلم » رسالة منها نسخة في مكتبة الملك فهد ، وقد قام بتحقيق هذه الرسالة مع «نصيحة المسلمين»[1] الدكتور عبدالعزيز الزير عام ١٤٢٤هـ وطبعت في جزء لطيف .

١٧ـ «غذاء الروح ومفرج الكروب» وقد طبع قديماً ضمن (المختصرات النافعة) ، وقد اعتنيت به ، يسر الله نشره .

* **الفقه وأصوله :**

١٨ـ « مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد » ، طبع ضمن (المجموعة الجليلة) ، ثمّ طبع مفرداً عام ١٤١٣هـ عن دار السلف ، بتحقيق الشيخ راشد بن عامر الغفيلي.

١٩ـ « المرتع المشبع شرح مواضع من الروض المربع » في أربعة مجلدات كبار في مكتبة الملك فهد ، ويقوم على تحقيقه بعض الفضلاء.

---

(١) تحت عنوان (نصيحتان مهمّتان) للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك



٢٠- «مختصر المرتع المشبع» أو «الوابل الممرع على الروض المربع» مخطوط، في مجلد، منه نسخة في مكتبة الملك فهد، وصل فيه إلى كتاب الجنائز.

٢١- « مجمع الجواد حاشية شرح الزاد » ، مخطوط في عدّة مجلدات ، منه نسخة في مكتبة الملك فهد تحتوي على كتاب البيوع فقط في ملازم متفرقة .

٢٢- «زبدة المراد فهرس مجمع الجواد» خ في مجلد[1] .

٢٣- « كلمات السداد على متن زاد المستقنع » للحجاوي، وهو شرح لطيف في مجلد، طبع مرتين آخرهما عام ١٤٠٥هـ عن مكتبة النهضة، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد.

٢٤- « الغرر النقية شرح الدرر البهيّة » مخطوط ، منه نسخة في مكتبة الملك فهد ، ويقوم على تحقيقه بعض الفضلاء.

٢٥- « القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب » مخطوط ، رسالة وجيزة مخطوطة في مكتبة الملك فهد .

* الفرائض :

٢٦- « الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة » منه مخطوطة في مكتبة الملك فهد ، وقد طبع قديماً ضمن (المختصرات النافعة) .

٢٧- « السبيكة الذهبية على متن الرحبية » طبع عام ١٣٧٩هـ عن المكتبة الأهلية، ثم عن مطابع السلمان عام ١٤٠٦هـ ثم طبع مؤخراً بتحقيق عبدالله الزاحم .

---

(١) منه نسخة خطية لدى الشيخ إسماعيل البلال (أحد تلامذة الشيخ) بالجوف، وقف فيه الشيخ على أخر قسم العبادات ولم يكمله

* في النحو :

٢٨ـ « صلة الأحباب شرح ملحة الإعراب » ، وهومفقود .

٢٩ـ « مفتاح العربية[1] على متن الآجرومية» ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد بعنوان «مفاتيح العربية» بخط الشيخ وقد طبع قديماً ضمن «المختصرات النافعة » . وانتهى من تحقيقه أخونا الشيخ عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، وسيصدر قريباً إن شاء الله عن دار الصميعي .

٣٠ ـ « لباب الإعراب » ، وهو مختصر في عدّة أوراق، وفيه سقط، حققه الشيخ محمد بن حسن المبارك، وصدر عن دار إشبيليا .

* وفاته :

ولي الشيخ فيصل القضاء في بلدان عدّة ، كان آخرها منطقة الجوف، والتي توفي بها في ذي القعدة من عام ١٣٧٦هـ عن ثلاثة وستين عاماً قضاها في الدعوة إلى الله وفي الجهاد، وفي العلم والتعليم والتصنيف، رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته .

* مصادر ترجمته :

١ - « الأعلام » للزركلي ٥/ ١٦٨.

٢ - « علماء نجد » للبسام ٥/ ٣٩٢.

٣ - « العلامة المحقق والسلفي المدقق ترجمة لحياة فضيلة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك » ، لفيصل البديوي .

٤ - « المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك » للشيخ

---

(١) وقد كتب على أحد النسخ بخط الشيخ (مفاتيح العربية) .

محمد بن حسن المبارك.

٥- « معجم الكُتّاب » ص/ ١٣٣.

٦- « روضة الناظرين » للقاضي ٢/ ١٥٩-١٦٢.

٧- « تذكرة أولي النهى » .

٨- « بلاد الجوف » .

٩- « مصادر التراجم السعودية » .

١٠- « موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية » ٣/ ٩٣٦.

١١- « معجم المطبوعات في المملكة العربية السعودية » لعلي جواد الطاهر ٢/ ١٠٤٥.

١٢- «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص/ ٣٩٨.

١٣- « المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة » للدكتور عبدالملك بن دهيش ص/ ٥٣٤.

١٤- « معجم مصنفات الحنابلة » للدكتور عبدالله الطريقي ٧/ ٢٦.

١٥- « الذيل على الدر المنضد » لجاسم الفهيد ص/ ١٠٥، رقم ٢٤٤.

١٦- « المذهب الحنبلي » للدكتور عبدالله التركي ص/ ٥٧٦.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الآيات [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا - إلى قوله - وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية [الأنعام: ١٥١-١٥٣][1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديفَ النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟».

فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حقُّ اللهِ على العبادِ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على اللهِ أن لا يعذِّبَ من لا يُشرك به شيئاً». قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشِّرهم فيتّكلوا» أخرجاه

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٠) وقال: حسن غريب، ورواه الطبراني في الكبير (١٠٠٦٠) والأوسط (١٢٠٨)، قال الألباني: ضعيف الإسناد.

في الصحيحين[١].

ابتدأ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه بالبسملة، اقتداء بالكتاب العزيز، وعملاً بحديث « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع »[٢] أي: ناقص البركة.

والمصنف هو الإمام العالم التقي شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مجدد القرن الثاني عشر، نشأ في بلاد نجد، وهم في أسوأ حال في أمور دينهم ودنياهم، قد فشا فيهم الشرك الأكبر والأصغر، وكانوا متفرقين يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضا، فدعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والاجتماع على دينه فعمد بعض أقرانه لرد دعوته بغياً وحسداً كفعل أعداء الرسل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فصبر ومضى ودعا إلى الله على بصيرة فنصره الله وأيده بهذه الشجرة المباركة وهم آل سعود فقاتلوا الناس، وهدموا القبور التي تُعبد من دون الله وألزموهم بسنة رسول الله ﷺ، وهذا مصداق قوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى »[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦، ٧٣٧٣)، ومسلم (٣٠).

(٢) رواه عبدالقادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة، انظر: كنز العمال (٢٤٩١)، وقال الألباني في الإرواء (١/ ٢٩، ٣٠): ضعيف جداً وقد رواه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٦)، والخطيب في الجامع (١٢١٠) بنحوه.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٨/ ٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٢٠).

قوله : « كتاب التوحيد »: التوحيد نوعان :

توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات .

وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة[1] .

وموضوع هذا الكتاب : في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ » : العبادة : هي طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، ومعنى الآية : أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب .

قوله : « وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ » قال ابن القيم - رحمه الله - : « الطاغوت : كلُّ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاعٍ . فطاغوتُ كلِّ قوم مَنْ يتحاكمون إليه غيرَ الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتْبعونه على غير بصيرة من الله، أو يُطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله »[2] .

قوله : « و قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ » قال مجاهد : قضى يعني : وصى[3] . وقال ابن عباس : أمر[4] .

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٧) .

(٢) أعلام الموقعين (٢/ ٩٢) تحقيق مشهور حسن سلمان .

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤) تحقيق سامي السلامة .

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٢) تحقيق الدكتور عبدالله التركي .

وقوله : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ المعنى أمر أن تعبدوه وحده دون من سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله .

وقوله : ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي : وأمر أن تحسنوا بالوالدين إحساناً كما أمر بعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]

قوله : « وقوله ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ » قال ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآية : يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات وهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته[1] .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآيات [الأنعام :١٥١-١٥٣] .

قال ابن مسعود : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ - إلى قوله - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية » أي : من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ إلى آخر الآيات .

قوله : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» الحديث .

أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم .

(١) تفسير ابن كثير (٢ /٢٩٧) .

« وحق الله على العباد » : هو ما يستحقه عليهم .

« وحق العباد على الله » : معناه أنه متحقّق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاءً لهم على توحيده ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم :٦][1] .

وقوله : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

قال الحافظ : « اقتصر على نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذّب رسول الله، فقد كذب الله، ومن كذب الله، فهو مشرك . وهو مثل قول القائل : من توضأ صحت صلاته، أي : مع سائر الشروط »[2].

* وفي الحديث من الفوائد :

جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق .

وفضيلة معاذ رضي الله عنه .

وتواضعه ﷺ .

وحسن الأدب من المتعلم .

وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم .

وفيه استحباب بشارة المسلم بما يسره .

قوله : « لا تبشرهم فيتكلوا » أي : يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال

---

(١) فتح المجيد (١/١٠٧) .

(٢) فتح الباري (١/٢٢٨) .ط. دار السلام بالرياض .

وفي رواية: «فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً»[١] أي: تحرجاً من الأثم .

قال الوزير أبو المظفر[٢] : لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة .

* **وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم :**

الحث على إخلاص العبادة لله، وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تسمى عبادة .

والتنبيه على عظم حق الوالدين وتحريم عقوقهما .

والحث على تدبر الآيات .

وجواز كتمان العلم للمصلحة[٣]. والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) عند البخاري رقم (١٢٨) .

(٢) هو الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد الدوري العراقي الحنبلي، ولد في سنة ٤٩٩، كان ديناً متعبداً عاقلاً وقوراً متواضعاً، جزل الرأي، باراً بالعلماء، مكباً مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، له كتاب « الإفصاح عن معاني الصحاح »، واختصر كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت، توفي رحمه الله سنة ٥٦٠ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٢٦-٤٣٢) .

(٣) المسألة السادسة عشرة

١- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ...﴾ الآية [الأنعام: ٨٢].

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأنّ الجنة حقٌّ وأنّ النار حقٌّ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه[١].

ولهما في حديث عِتبان: «فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلاّ الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يا ربِّ، علّمني شيئاً أذكُرُك وأدعُوكَ به. قال: قلْ يا موسى: لا إله إلاّ الله. قال: كلُّ عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أنّ السموات السبع وعامرهُنّ - غيري - والأرضين السبع في كِفّةٍ، ولا إله إلاّ الله في كِفّةٍ، مالتْ بهن لا إله إلاّ الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه[٣].

وللترمذي وحسّنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥، ٦٦٧، ٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣، ٦٥٧).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٢١٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٠٨).

تعالى : يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقرابها مغفرة»[(١)].

قوله : « باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب » أي : وتكفيره للذنوب.

قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ..﴾ » أي: ولم يخلطوا توحيدهم بشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ يوم القيامة ، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ في الدنيا والآخرة .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ..﴾ قلنا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ . قال : ليس كما تقولون ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ..﴾ بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] . رواه البخاري[(٢)].

قوله : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله » أي : من تكلم بلا إله إلا الله عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين بمدلولها .

قوله : « وحده » تأكيد للإثبات .

« لا شريك له » تأكيد للنفي .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٣٤)، وقال : حديث حسن غريب، والإمام أحمد (٥/ ١٥٤، ١٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧، ١٢٨) .

(٢) رواه البخاري (٣٢، ٣٣٦٠، ٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤) .

فدلت لا إله إلا الله على نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائن من كان، وإثباتها لله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه القرآن .

وقوله : « وأن محمداً عبده ورسوله » جمع هاتين الصفتين دفعاً للافراط والتفريط.

قوله : « وأن عيسى عبدُ الله ورسوله » أي : خلافاً لما يعتقده النصارى، أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثه . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩] وخلافاً لما يقوله أعداؤه اليهود أنه ولد بغي ، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فيتبرأ من قول الطائفتين .

قوله : « وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » أي : خلقه بالكلمة وهي كن .

وقوله: « وروح منه » أي: من الأرواح التي خلقها الله تعالى، كما قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية :١٣] .

قوله : « والجنة حق والنار حق » أي : وشهد أن الجنة التي أخبر الله تعالى بها في كتابه أنه أعدها للمتقين.

« حق » أي : ثابته لا شك فيها، وشهد أن النار التي أخبر الله تعالى بها في كتابه أنه أعدها للكافرين .

« حق » أي: ثابته لا شك فيها .

قوله : « أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أي :من صلاح أو فساد لأن أهل التوحيد لابُدَّ لهم من دخول الجنة، وإن دخلوا النار بذنوبهم.

قولـه : « ولهمـا في حديث عتبان : فإن الله حرم على النار من قال: لا إلـه إلا الله يبتغي بذلـك وجـه الله » هذا طرفٌ من حديث طويل أخرجه البخاري ومسـلم، ولفظه عند البخاري في باب المساجد في البيوت فذكر الحديث بطولـه[١]، وفيـه قـال : فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عـدد فاجتمعوا فقـال قـائل مـنهم : أيـن مـالك ابـن الدُّخشـن أو ابـن الدُّخشُن؟، فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقـل ذلـك ألا تـراه قـد قـال لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله، قـال : الله ورسوله أعلم، قال : فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قـال رسـول الله ﷺ : « فـإن الله قـد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » .

قـال الحـافظ : وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم يستفيد منه ويتبرك به[٢].

والتنبيه عـلى مـن يظن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصح ولا يعـد ذلـك غيبـة، وأن عـلى الإمـام أن يتثبت في ذلك ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل .

وفيـه : افـتقاد مـن غـاب عـن الجماعة بلا عذر، وإنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد، وأنه لا يخلد في النار من مات على التوحيد. انتهى[٣].

قولـه : « قـال موسى يارب علمني شيئاً أذكرك وادعوك به » أي : أثني

---

(١) برقم (٤٢٥)

(٢) في كلام ابن حجر هذا نظر، والصواب أن هذا خاص بالنبي ﷺ .

(٣) فتح الباري (١/ ٦٧٧)

عليك به وأسألك به .

قال : « قل يا موسى لا إله إلا الله » . فيه : أن الذاكر بها يقولها كلها ولا يقتصر على لفظ الجلالة ولا « هو »⁽¹⁾ كما يفعله غلاة المتصوفه .

قوله : « كل عبادك يقولون هذا » أي : إنما أريد شيئاً تخصني .

قال : « يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري » أي : لو أن السموات السبع ومن فيهنّ من العُمَّار - غير الله تعالى - والأرضين السبع في كفه أي : وضِعوا في كفة الميزان، ولا إله إلا الله في كفته الأخرى، مالت بهن لا إله إلا الله . أي : رجحت وثقلت، وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال، فمن قال لا إله إلا الله بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك فهو من الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [الأحقاف :١٣-١٤] .

قوله : « وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لا تيتك بقرابها مغفرة » ذكر المصنف رحمه الله الجملة الأخيرة من الحديث، وقد رواه الترمذي بتمامه، فقال : عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك [على] ما كان منك ولا أبالي . ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» .

---

(١) أي لا يقتصر على كلمة « هو » بدلاً من لفظ الجلالة .

وفي هذا الحديث: كثرة ثواب التوحيد[(١)]، وسعة كرم الله وجوده ورحمته[(٢)].

والرد على الخوارج الذين يكفّرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين : بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون : ليس بمؤمن ولا كافر ويخلّد في النار، والصواب قول أهل السنة : أنه لا يُسلب عنه اسمُ الإيمان، ولا يُعطاه على الإطلاق، بل يقال : هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته . وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء :٤٨] .

قال المصنف – رحمه الله – : إذا جمعت بين حديث عبادة وبين حديث عِتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين.

وفيه : أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله .

وفيه : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخفُّ ميزانه.

وفيه : إثبات الصفات خلافاً للمعطلة .

وفيه : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عِتبان : «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أنه تركُ الشرك، وليس قولها باللسان[(٣)] . انتهى . وبالله التوفيق .

---

(١) المسألة الأولى .

(٢) المسألة الثانية .

(٣) المسائل : الخامسة، والسادسة، والثامنة، والتاسعة، والثانية عشرة، والثالثة عشرة.

٢- باب من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

عن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جُبير فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا. ثم قلتُ: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدّثكم؟ قلت: حدثنا عن بُريدة بن الحصيب أنه قال: لا رُقية إلا من عين أو حُمة. قال: قد أحسن مَن انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرتُ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمّتك ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلَّهُم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء. فخرج عليهم فقام عُكّاشة بن مِحصَن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم.

فقال: «أنت منهم». ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادع الله أن يجعلني

منهم. فقال: «سبقك بها عُكاشة»[1].

قوله: « باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب » أي: ولا عذاب، تحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

قوله: « وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ » قوله: ﴿ أُمَّةً ﴾ أي: قدوة وإماماً ومعلماً للخير.

﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ أي: مطيعاً له.

﴿ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الباطل مستقيماً على دين الإسلام.

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعمت قريش، قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :٦٧-٦٨].

قوله: « وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾» أي: لا يعبدون مع الله غيره بل يوحدونه. ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه من شرك جلي أو خفي، نفى ذلك عنهم، وهذا هو تحقيق التوحيد الذي صحت به أعمالهم وكملت ونفعتهم.

قوله: « أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟» أي: سقط.

«فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكن لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢) مطولاً و(٣٤١٠) مختصراً، ورواه مسلم (٢٢٠).

حدثنا الشعبي. قال: وما حدثكم، قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: « لا رقية إلا من عين أو حمة » . هكذا أورده موقوفاً وقد رواه أحمد وغيره مرفوعاً »[١].

« والعين » هي إصابة العائن غيره بعينه .

« والحمة » : سم العقرب وشبهها، قال الخطابي : ومعنى الحديث لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة، وقد رَقى النبي ﷺ ورُقي .

قولـه : « قـد أحسـن من انتهى إلى ما سمع » أي : من أخذ بما بلغه من العلم، وعمل به فقد أحسن . بخلاف من يعمل بجهل .

قولـه : « ولكـن حدثنـا ابـن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: عرضت علي الأمم» الحديث ، قال المصنف : وفيه عمق علم السلف ؛ لقوله : « قـد أحسـن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا »، فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني[٢].

قولـه: « عرضـت علي الأمـم فرأيـت النبي ومعـه الـرهط » وهم الجماعـة دون العشـرة، « والـنبي ومعـه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد » .

فيه : الرد على من احتج على الصواب بالكثرة .

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٦١) ، وابن ماجه مرفوعاً (٣٥١٣) ، وأبوداود (٣٨٨٤)، والترمـذي (٢٠٥٧) عـن عمـران بـن حصين موقوفاً، قال الهيثمي : رجال أحمد ثقـات، انظـر : الـدر النضـيد لابـن حمـدان (ص ٤١) ، وهـذا الأثر جزء من الحديث السابق المخرج في (ص٣٤) وهو في الصحيحين .

(٢) المسألة السابعة عشرة .

قولـه: « إذ رفع لـي سـواد عظيـم فظننت أنهـم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومـه ولكـن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي أنظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم » هكذا ثبت في صحيح مسلم .

قولـه: « فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » أي : لتحقيقهم التوحيد .

قولـه: « ثـم نهـض فدخـل منزلـه فخـاض النـاس في أولئك فقال بعضهـم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ يعنون السابقين الأولين مـن المهاجرين والأنصار، وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء » .

وفيـه: إباحـة المنـاظرة والمباحـثة في نصـوص الشـرع عـلى وجـه الاستفادة وبيان الحق.

وفيه: عمق علم السلف لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل[1] .

وفيه: حرصهم على الخير[2] .

قولـه : « فقال : هم الذين لا يسترقون » أي : لا يسألون غيرهم أن يرقاهم .

« ولا يكـتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » الرقية مباحة ولا كـراهة فـيها إذا كانت بالقرآن والأدعية المعروفة، وتركها توكلاً على الله تعالى وتلـذذاً بالـبلاء أفضل، وقد قال ﷺ : « لا بأس بالرقى ما لم تكن

(١) المسألة السابعة .

(٢) المسألة الثامنة .

شركاً »[١].

والكي جائز مع الكراهة وقد قال ﷺ: « الشفاء في ثلاث، شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وأنهى أمتي عن الكي »[٢].

وقال البخاري: باب من اكتوى أو كَوَى غيره، وفضل من لم يكتوِ، وذكر حديث جابر عن النبي ﷺ قال: « إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة نار، وما أحب أن أكتوي »[٣] ثم ذكر حديث ابن عباس: « عرضت علي الأمم » الحديث.

قال الحافظ: قوله: « باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتوِ »، كأنه أراد أن الكي جائز للحاجة، وأن الأولى تركه إذا لم يتعين، وأنه إذا جاز كان أعم من أن يباشر الشخص ذلك بنفسه أو بغيره لنفسه أو لغيره، وعموم الجواز مأخوذ من نسبة الشفاء إليه.

وفضل تركه من قوله: « وما أحب أن أكتوي ». وقد أخرج مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: « رُمِيَ سعد بن معاذ على أكحله فحسمه رسول الله ﷺ »[٤].

ومن طريق أبي سفيان عن جابر أن النبي ﷺ بعث إلى أُبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عرقاً ثم كواه[٥].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٠)، وأبوداود (٣٨٨٦) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٠).

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٤).

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٨)، قال النووي: « قوله: « فحسمه » أي: كواه؛ ليقطع دمه، وأصل الحسم القطع ». اهـ (المنهاج ص/١٣٧٨).

(٥) رواه مسلم (٢٢٠٧)، وأبو داود (٣٨٦٤) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن أنس قال: « كواني أبوطلحة في زمن النبي ﷺ » وأصله في البخاري[١]، وأنه كُوِيَ من ذات الجنب.

وعند الترمذي عن أنس: « أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زُرارةَ من الشوكة »[٢].

ولمسلم عن عمران بن حصين « كان يُسلَّم عليَّ حتى اكتويت فترك، ثم تركت الكيَّ فعاد » وله عنه من وجه آخر: « إن الذي كان انقطع عني رجع إليَّ » يعني: تسليم الملائكة، وفي لفظ أنه: « كان يُسلَّم عليَّ فلما اكتويت أمسك عني، فلما تركته عاد إليَّ ».

وأخرج أحمد وأبوداود والترمذي عن عمران: « نهى رسول الله ﷺ عن الكي، فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا »، وفي لفظ « فلم يفلحن ولم ينجحن » وسنده قوي[٣].

والنهي فيه محمول على الكراهة، أو على خلاف الأولى لما يقتضيه مجموع الأحاديث، وقيل إنه خاص بعمران لأنه كان به الباسور وكان موضعه خطراً فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٨٣٣٧) (٥/ ٥٩٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٥١)، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب. ورواه ابن حبان (٦٠٨٠)، وصححه الحاكم (٤/ ٤١٧) ووافقه الذهبي: انظر: صحيح ابن حبان ط. الرسالة (١٣/ ٤٤٣).

والشوكة: إحمرار ينتشر على الوجه والجسد. النهاية (٢/ ٥١٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند رقم (١٩٨٣١) و(١٩٨٦٤)، والترمذي (٢٠٤٩) وهو صحيح. انظر: المسند (٣٣/ ٦٥-٦٧، ٩٨-٩٩) ط. الرسالة.

وقال ابن قتيبة[1] الكي نوعان : كي الصحيح لئلاً يعتل فهذا الذي قيل فيه : « لم يتوكل من اكتوى » لأنه يريد أن يدفع القدر، والقدر لا يدافع .

والثاني : كي الجرح إذا نغل أي : فسد، والعضو إذا قطع، فهو الذي يشرع التداوي به فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير محقق . وحاصل الجمع أن الفعل يدل على الجواز، وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على أن تركه أرجح من فعله، وكذا الثناء على تاركه، وأما النهي [عنه] فإما على سبيل الاختيار والتنزيه وإما عما لايتعين طريقاً إلى الشفاء. والله أعلم. انتهى[2] .

وقد أطلنا في هذا الموضع لحاجة الناس إلى ذلك .

قوله : « ولا يتطيرون » أي : لا يتشاءمون بالطير[3] ونحوها، وسيأتي بيان ذلك في باب ما جاء في التطير إن شاء الله تعالى .

قوله : « وعلى ربهم يتوكلون » هذا هو الجامع لترك ذلك، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح في التوكل، لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه، وجهله من جهله»[4] .

---

(١) هو العلامة أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد في بغداد سنة ٢١٣، حدث عن إسحاق بن راهوية، وحرملة وغيرهما، له عدة مؤلفات منها : تعبير الرؤيا، و عيون الأخبار . توفي سنة ٢٧٦ .

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٩٢) .

(٣) في الفتح : الطيور .

(٤) رواه البخاري (٥٦٧٨) دون الجملة الأخيرة، ورواه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر .

قولـه : « فقام عُكّاشة بن محصن فقال : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال : أنت منهم » وفي رواية للبخاري فقال : « اللهم أجعله منهم، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة ».

وفيه : استعمال المعاريض[1]، وحسن خلقه ﷺ لم يقل : أنت منهم ولا لستَ منهم[2].



(١) المسألة الحادية والعشرون .

(٢) المسألة الثانية والعشرون .

٣- باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقول الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أخوفُ ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار». رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار»[2].

قوله: «باب الخوف من الشرك» أي: الأكبر و الأصغر.

قوله: «وقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: لا يغفر لعبدٍ لقيه مشركاً ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء تفضلاً.

قوله: «وقال الخليل عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾» أي: اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها، وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام.

وقد بين ما يوجب الخوف من ذلك بقوله ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩)، والطبراني في الكبير (٤٣٠١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥١).

(٢) رواه مسلم (٩٣)، و أحمد (٣/٣٢٥، ٣٤٥، ٣٧٤).

ﵟمِّنَ ٱلنَّاسِۖﵞ [إبراهيم: ٣٦] قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟[(١)].

قوله: «وفي الحديث أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال: الرياء» رواه الإمام أحمد ولفظه عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء».

قوله: «وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار» رواه البخاري[(٢)]. أي: يجعل لله نداً في العبادة، يدعوه ويسأله ويستغيث به، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قوله: «ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» قال القرطبي: أي: لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٦٨٧- ٦٨٨).
(٢) رواه البخاري (٤٤٩٧)

مـات عـلى ذلـك فلا بُدَّ لـه من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنـواع مـن العـذاب والمحنة، وأن مـن مـات على الشرك لا يدخل الجنة [و][١] لا يناله من الله رحمة ويُخلَّد في النار أبد الآباد[٢].

❀ ❀ ❀

(١) من فتح المجيد.

(٢) المفهم (١/ ٢٩٠).

٤- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله (وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه[1].

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها. فقال: «أين عليّ بن أبي طالب؟». فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق في عينيه ودعا له؛ فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر

(١) رواه البخاري (١٤٥٨، ١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

النَّعم »[1] . يدوكون : أي يخوضون .

قولـه : « بـاب الدعـاء إلى شـهادة أن لا إلـه إلا الله » لمـا ذكر المصنف – رحمه الله – التوحيد وفضله، والخوف من ضده نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، قال الله تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت :٣٣] .

قولـه : « وقولـه تعـالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ الآيـة أي : قـل يـا محمد ﴿ هَٰذِهِۦ ﴾ أي : الدعوة إلى التوحيد ﴿سَبِيلِىٓ﴾ أي : طريقي .

﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي : معرفة وحجة .

﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ : من آمن بي أيضاً يدعو إلى الله تعالى .

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ اي : قل أنزهه تنزيهاً عن الشرك .

﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي : أنـا بـريءٌ مـن أهـل الشرك به، لستُ منهم، ولا هم مني[2] .

قـال المصنف ـ رحمه الله تعـالى ـ: فيـه التنبيـه عـلى الإخلاص لأن (كـثيراً مـن النـاس)[3] لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه، وأن البصيرة

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠١)، و مسلم (٢٤٠٦) .

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٣٧٩) .

(٣) ليست واضحة في الأصل، وأضفتها من كتاب التوحيد .

من الفرائض .

وقال ابن القيم - رحمه الله - في معنى قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾الآية [النحل: ١٢٥] : ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو :

- فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يُدعى بالحق ولا يحتاج إلى موعظة وجدال .

- وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب .

- وإما أن يكون مُعانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن . انتهى[1] .

قوله : « أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب »، وكان بعث معاذ سنة عشر قبل حج النبي ﷺ، وقيل آخر سنة تسع بعثه ﷺ مبلغاً عنه ومعلماً وحاكماً، وكان فيه طوائف من اليهود والنصارى فنبهه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم .

قال الحافظ : هو كالتوطئة للوصية[2] .

قوله : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله » وفي رواية « إلى أن يوحدوا الله » أشار المصنف بهذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن معناها توحيد الله بالعبادة، ونفيُ عبادة

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٧٣-٢٧٤) . طبعة دار ابن عفان بتصرف .

(٢) فتح الباري (٣/ ٤٥١) .

ما سواه .

وفي رواية للبخاري فقال : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله »، قال الشيخ الإمام عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله تعالى ـ[(١)]:

« لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها :

أحدها : العلم المنافي للجهل .

الثاني : اليقين المنافي للشك .

الثالث : القبول المنافي للرد .

الرابع : الانقياد المنافي للترك .

الخامس : الإخلاص المنافي للشرك .

السادس : الصدق المنافي للكذب .

السابع : المحبة المنافية لضدها .

وفيه دليل على أن التوحيد ـ الذي هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه ـ هو أول واجب » . انتهى[(٢)] .

---

(١) هو الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣، مات والده وهو صغير وتولى العناية به جده الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عنه بعض كتاب التوحيد، وآداب المشي إلى الصلاة، ألف عدة مؤلفات منها « فتح المجيد » و « قرة عيون الموحدين » ، توفي سنة ١٢٨٥هـ .

(٢) فتح المجيد (١/ ١٩٠) .

وقد جمع بعضهم هذه الشروط فقال :

إعْلَـمْ وايْقِـنْ وانقَـدْ واقْبَـل أحِبَّ واخْلِصْ واصْدقنْ حكمك

قولـه : « فإن هم أطاعوك لذلك » أي : شهدوا وانقادوا .

« فأعلـمهم أن الله افـترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة » فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين .

قولـه : « فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً تؤخـذ مـن أغـنيائهم فـترد عـلى فقرائهم » إنما خص النبي ﷺ الفقراء لأن حقهم في الزكاة آكدُ من حق بقية الأصناف الثمانية .

وفيه : دليل على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد .

قولـه : « فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائمَ أموالهم » أي : خيار المال وأنفسه .

« واتـق دعـوة المظلـوم » أي : اجعـل بيـنك وبيـنها وقاية بالعدل وترك الظلم .

« فإنـه لـيس بينها وبين الله حجاب » : هذه الجملة مفسِّرة لضمير الشأن أي : فإنها لا تُحجب عن الله .

وفي الحديث : البداءة بالأهم فالأهم، والتعليم بالتدريج[1] .

ولم يذكـر الصـوم والحج في هذا الحديث وهما من أركان الإسلام، لأن الصـوم تبع وهو من الأعمال الباطنة، والحج لا يجب إلا على المستطيع مرة واحـدة في عمـره، وإنمـا ذكـر الأعمـال الـتي يقـاتل علـيها وهـي التوحيد

(١) المسألة الحادية عشرة .

والصلاة والزكاة كما قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة :٥] .

قوله : « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ...» الحديث.

فيه : فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه .

وفيه : علم من أعلام النبوة .

قوله : « فأعطاه الراية وقال : انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم » أي : امض على رفقك من غير عجلة حتى تنزل بفناء أرضهم .

وفيه : الأدب عند القتال، وترك العجلة والطيش والأصوات التي لا حاجة إليها .

قوله : « ثم ادعهم إلى الإسلام » أي : الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .

قوله : « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه » : وهو كما في الحديث الآخر : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »[1]، وفي الحديث الآخر : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » ، قال الإمام مالك في « الموطأ » : الأمر عندنا فيمن منع فريضة

(١) رواه البخاري (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠)

من فرائض الله تعالى فلم يستطع المسلمون أخذها منه كان حقاً عليهم جهاده[١] .

قوله : « فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم » أي : خير لك من الأبل الحمر وهي من أنفس أموال العرب .

وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب[٢] إلى الأفهام وإلا فموضع قدم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت :٦٤] .

❀ ❀ ❀

(١) الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي (١/٢٦٩) رقم (٦٠٦) .
(٢) في المخطوط : لتقريب. والتصويب من « فتح المجيد » .

٥- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي..﴾ الآية [الزخرف: ٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل»[1].

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

قوله: «باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله»: هذا من عطف الدال على المدلول.

قوله: «وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية» يبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ كالملائكة والنبيين وغيرهم، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ بالكلية ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ إلى غيركم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ من النبيين والملائكة وفي قراءة ﴿تدعون﴾.

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة ولهذا قال ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: يتقربون إلى الله بالعمل الصالح ويتضرعون إليه في طلب الدرجة العليا، ويرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف يستحقون الألوهية.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ يحذر منه كل شيء حتى الرسل من الملائكة والبشر.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي..﴾ الآية»: يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم إمام الحنفاء: إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ أي: إلى دينه.

قال قتادة: كانوا يقولون: الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فلم يبرأ من ربه[1].

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ وهي لا إله إلا الله ﴿فِي عَقِبِهِ﴾ لا يزال فيهم من يوحِّد الله تعالى.

---

(١) غير واضحة في الأصل، ونقلت هذه العبارة من كتاب المؤلف «توفيق الرحمن» (٤ / ٣٠). وانظر: تفسير الطبري (٢٠ / ٥٧٦) بتحقيق الدكتور عبدالله التركي.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل المشركين يرجعون إلى دين إبراهيم .

قولـه : « وقولـه تعـالى ﴿ اتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآيـة » الأحبار : العلماء ، والرهبان : العباد ، أي : حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فأطاعوهم وتركوا كتاب الله تعالى واتخذوا المسيح ابن مريم إلهاً من دون الله .

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١] أي: هو الله الأحد المنزه عن شريك وولد.

قولـه : « وقولـه تعـالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآيـة» أي : يجعلون مع الله أمثالاً يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ أي : أثبت وأدوم على حبه من المشركين لأنهم لا يختارون على الله ما سواه .

﴿ وَلَوْ يَرَى ﴾ : لو يعلم الذين ظلموا باتخاذ الأنداد .

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي : عاينوا يوم القيامة .

﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي : لعـرفوا مضـرة الكفـر وأن ما اتخذوا من الأنداد لا ينفعهم .

قولـه « وفي الصحيح عـن الـنبي ﷺ أنـه قال : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه» . قال المصنف: وهذا من أعظم مـا يُبيِّن معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بـل ولا معـرفة معناها مـع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا

يدعو إلا الله وحده لا شريك له . بل لا يحرمُ مالَهُ ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله . انتهى[١] .

وقال الخطابي[٢] على قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » : معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان ، دون أهل الكتاب ؛ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله . ثم يُقاتلون ولا يرفع عنهم السيف[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة يجب قتالهم حتى يلزموا[٤] شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر والصحابةُ رضي الله عنهم مانعي الزكاة . وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم » . انتهى ملخصاً[٥] .

قوله « وحسابه على الله » أي : هو الذي يتولى حسابه فإن كان صادقاً جازاه بجنات النعيم ، وإن كان منافقاً عذبه العذاب الأليم . وأما في الدنيا

---

(١) المسألة الأخيرة في الباب .

(٢) هو الإمام الحافظ حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان ، ولد سنة ٣١٩هـ ، فقيه محدث ، من أهل بست من بلاد كابل ، له العديد من المؤلفات منها : معالم السنن شرح سنن أبي داود ، و غريب الحديث ، وتفسير أحاديث الجامع الصحيح للبخاري، توفي سنة ٣٨٨هـ . انظر : الأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٣) .

(٣) معالم السنن (٢/ ١١) .

(٤) في فتح المجيد : يلتزموا .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٢) .

فالحكم على الظاهر .

قوله : « وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب » أي : لأن ما بعدها فيه ما يبين التوحيد ويوضح معنى لا إله إلا الله .

وفيه أيضاً : بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر ، وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع .

وفيه أيضاً : من أدلة التوحيد إثبات صفات الكمال لله عز وجل ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى .



٦- باب من الشرك
لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر. فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة. فقال النبي ﷺ: «انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه الإمام أحمد بسند لا بأس به[١].

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «من تعلّق تميمةً فلا أتمّ الله له، ومن تعلّق وَدَعَةً فلا وَدَعَ الله له»[٢].

وفي رواية: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[٣].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمّى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قوله: «باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن حبان (٧/ ٦٢٨)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وابن ماجه (٣٥٩٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٢٩).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١/ ٨١٠).
(٣) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٢).

دفعه » رفع البلاء إزالته بعد نزوله، ودفعه منعه قبل نزوله .

قولـه : « وقـول الله تعـالى : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾» هذا بيان أنها لا تنفع ولا تضر، فلا خوف منها

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ قـل حسبي الله هـو كـافٍ[1] في إصابة الـنفع ودفع البلاء ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

قولـه : « عـن عمـران بـن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة مـن صفر فقال : « ما هذه ؟ قال : من الواهنة » هي عِرْقٌ يَأْخُذُ في المَنكب، وفي اليد كلها .

قولـه : « قـال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً » أي : ضعفاً، وإنما نهى عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم .

وفيه : اعتبار المقاصد .

قولـه : « فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً » لأنه شرك .

قـال المصنف : وفيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

وفيه : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك[2] .

قولـه : «مـن تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» أي : علَّقها متعلقاً بها قلبه، في طلب خير أو دفع شر .

---

(١) في المخطوط : « هو كافي » والصواب ما أثبته. وفي فتح المجيد : الله كافي .

(٢) المسألتان : الثانية والخامسة

قال أبو السعادات : « التمائم جمع تميمة، وهي خرزاتٌ كانت العربُ تعلّقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام »[(١)].

وقوله : « فلا أتم الله له » دعاء عليه أي : لا أتم الله ما أراده .

وقوله : « فلا ودع الله له » أي : لا تركه في دعة وسكون .

قوله : « وفي رواية: من تعلق تميمة فقد أشرك » هذا حديث آخر رواه الإمام احمد أيضاً عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا يا رسول الله : بايعت تسعة وأمسكت عن هذا، فقال : « إن عليه تميمة » فأدخل يده فقطعها فبايعه .

وقال :« من تعلق تميمة فقد أشرك » . قال أبو السعادات : إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه[(٢)].

قوله : « ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى » أي : عن الحمى، وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى.

قوله: «فقطعه وتلا قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾».

فيه : صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر لشمول الآية، ودخوله في مسمى الشرك . والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٧) . ط. دار الكتب العلمية.
(٢) المرجع السابق (١/ ١٩٣) .

٧- باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً : « أن لا يبقَين في رقبة بعيرٍ قلادة من وَتَر أو قلادة إلا قُطِعت »[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شرك » . رواه أحمد وأبوداود[2] .

وعن عبدالله بن عُكَيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وُكِل إليه » . رواه أحمد والترمذي[3] .

التمائم : شيء يُعلَّق على الأولاد يتقون به العين ، لكن إذا كان المُعلَّقُ من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

والرُّقَى : هي التي تسمى العزائم ، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمَة .

والتِّوَلة : هي شيء يصنعونه ، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٥) ، ومسلم (٢١١٥) .

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٨١) ، وأبو داود (٣٨٨٣) ، وابن ماجه (٣٥٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١) .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠ ، ٣١١) ، والترمذي (٢١٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٩) .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رُويفع لعلّ الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلّد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بَريءٌ منه »[1] .

وعن سعيد بن جُبير : قال : «من قطع تميمة من إنسان كان كعَدْل رقبة». رواه وكيع[2] .

ولـه عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائمَ كلها ، من القرآن وغير القرآن .

قولـه : « باب ما جاء في الرقى والتمائم » أي : من النهي ، وما ورد عن السلف في ذلك .

وقولـه : « عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت شك الراوي هل قال شيخه قلادة وأطلق أو قيدها بقلادة الوتر، وهو أحد أوتار القوس كان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوترأبدلوه بغيره ، وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين .

قولـه : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » هذا الحديث له قصة وهي ما رواه أبوداود عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت : إن عبدالله رأى في عنقي خيطاً ، فقال : ما هذا ؟ . قلت : خيط رُقِي لي فيه ، قالت : فأخذه ثم قطعه ، ثم قال : أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك ، سمعت

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٨٧) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٢٤) .

رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عيني تقذف ، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت ، فقال عبدالله : إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده ، فإذا رقى كفّ عنها . إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول : « اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً »[1] . قال الخطابي : وكان عليه السلام قد رَقى ورُقي ، وأمر بها وأجازها . فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها . وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله شرك[2] .

قوله : « من تعلق شيئاً وكل إليه » أي : وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلّقه ، فمن تعلق بالله وفوض أمره إليه كفاه ، ومن تعلق بغيره وكلَه الله إليه وخذله ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق :٣] أي : كافيه .

قوله : « عن رويفع قال قال لي رسول الله ﷺ : « يا رويفع لعل الحياة ستطول بك »

فيه : عَلَمٌ من أعلام النبوة ، فإن رُويفعاً طالت حياتهُ إلى سنة ستٍ وخمسين .

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨١) ، وأبو داود (٣٨٨٣) ، وابن ماجه (٣٥٧٦) ، وابن حبان (٧/ ٦٣٠) ، والحاكم (٤/ ٤١٨،٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٠٥٠٣) ، وقال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي .

(٢) معالم السنن (٤/ ٢٢٦) .

قوله : « فأخبر الناس أن من عقد لحيته » أي: تكبراً و عجباً، ومثله فتل الشوارب، وفي الحديث الآخر: «قصوا الشوارب وأعفوا اللحى»[(١)].

« و تقلّد وتراً يريد : تميمه » أي : حبله في عنقه ، أو عنق دابته.

« أو استنجى برجيع دابة ، أو عظم فإن محمداً بريء منه » . وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « لا تستنجوا بالروث ولا العظام فإنه زاد أخوانكم من الجن »[(٢)].

قوله : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة » أي : كعتق رقبة لأنه اعتقه من رق الشيطان .

قوله : « كانوا » أي : أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

وقال عبدالله بن عمرو وغيره : يجوز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته. وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك والله أعلم .



(١) وهذه العبارة كتبها المصنف في هوامش الكتاب. والحديث رواه الإمام أحمد (١٢/ ٣٤) رقم (٧١٣٢)، وقال المحقق: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٩) ، ومسلم (٤٥٠) .

٨ - باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ الآيات [النجم :١٩] .

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذاتُ أنواط فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، إنها السُنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] لتركبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم » . رواه الترمذي وصححه[1] .

قولـه : « باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما » كبقعة وقبر ونحو ذلك ، أي : فهو شرك .

قولـه : « وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ ﴾ الآيات » اللات: صنم لثقيف ، والعزى : لقريش وبني كنانة ، ومناة : لبني هلال .

قولـه: « ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ » معناه : أتختارون لأنفسكم الذكور من الأولاد وتجعلون لله البنات. فإنهم يقولون الملائكة وهذه الأصنام بنات الله ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ـ .

---

(١) رواه الترمذي (٢١٨١) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الإمام أحمد (٣٦/ ٢٢٥) ، وقال المحقق : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ أي : جائرة .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: **برهان تتعلقون به .**

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: الرسول والقرآن .

وقال الأعمش : سمُّوا اللات من الإله . والعزى من العزيز .

وقال ابن عباس : اللات رجل يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره . ذكره البخاري[1] .

والعزى : شجرة . **ومناة** : أكمه .

فمن يشرك بقبور الصالحين ودعاهم مع الله ، وطلب منهم جلب المنافع ودفع المضار أو اعتقد في الأشجار والأحجار فقد شابه المشركين في عبادتهم هذه الأوثان ، وعبد مع الله ما لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

قوله : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر » أي : قريب عهد بالكفر ، وهم من مسلمة الفتح .

وفيه : دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه لا يجهل هذا[2] .

قوله : « وللمشركين شجرة يعكفون عندها » أي : تبركاً بها وتعظيماً

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦١١) دون الجملة الأخيرة، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٣٥)، انظر تعليق الدكتور الوليد الفريان على فتح المجيد (١/ ٢٥٤)

(٢) المسألة الثانية عشرة .

لها ، وكانت تعبد من دون الله .

« وينوطون بها اسلحتهم » أي : يعلقونها عليها للبركة .

« فقلنا يارسول الله : اجعل لنا ذات أنواط » أي : شجرة مثلها .

« كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، وفي رواية «سبحان الله » والمراد تعظيم الله تعالى وتنزيهه .

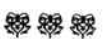
« إنها السنن » أي : الطرق .

« قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل لأن المعنى واحد .

ففيه : الخوف من الشرك ، وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله وهو مما يبعده ..

قوله : « لتركبن سنن » أي طرق . « من كان قبلكم » ومناهجهم .

وفيه : عَلَمٌ من أعلام النبوة .



٩- باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ الآية [الأنعام :١٦٢-١٦٣].

وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر :٢].

عن عليٍّ رضي الله عنه قال : حدَّثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن اللهُ من ذبح لغير الله ، لعنَ اللهُ من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غيَّر منارَ الأرض » . رواه مسلم[1] .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجلٌ في ذباب . قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ . قال : « مرَّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يَجُوزُه أحدٌ حتى يقرِّب لـه شيئاً . فقالوا لأحدهما : قرِّب . قال : ليس عندي شيء أقرِّب . قالوا : قرِّب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قرِّب . فقال : ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله - عز وجل - فضربوا عنقه، فدخل الجنة » رواه أحمد[2] .

قوله : « باب ما جاء في الذبح لغير الله » أي : من الوعيد، وأنه شرك بالله عز وجل .

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨) .

(٢) رواه أحمد في كتاب الزهد (٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٣) وهو صحيح موقوف .

قولـه: « وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾» يقـول تعالى: قل يـا محمـد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لـه ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ ذبحي ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ مـا آتيـه في حياتي ومـا أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ خالصاً لوجهه.

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ ﴾ الإخلاص ﴿ أُمِرْتُ ﴾.

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: من هذه الأمة.

قولـه: « وقولـه تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ » أمره الله أن يداوم على الصـلاة مخلصـاً، وينحر البدن على اسمه وحده، بخلاف ما عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه.

قولـه: « لعن الله مـن ذبـح لغـير الله » كمـن يذبح للجن أو القبر أو الكواكب، لأنه مما أهل به لغير الله.

وذكـر إبراهيـم المـروزي[1] أن مـا ذُبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه، أفتى أهل بخارى بتحريمه، لأنه مما أهل به لغير الله[2].

قولـه: « لعـن الله مـن لعن والديه » وفي الحديث الآخر: « من الكبائر شـتم الـرجل والديـه، قالوا يا رسول الله: وهل يشتم الرجل والديه قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه »[3].

---

(١) هـو الإمام إبراهيم بن عبدالله بن أحمد المروزي، أبو إسحاق شيخ الشافعية، صنَّف التصانيف، وتخرج به أئمة، توفي سنة ٣٤٠. انظر: سير أعلام النبـلاء (١٥/٤٢٩-٤٣٠).

(٢) ذكره النووي في المنهاج (١٣/١٤١).

(٣) رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٨٩).

قوله : « لعن الله من آوى محدثاً » أي : منعه من أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه .

قوله : « لعن الله من غير منار الأرض » أي : معالمها وحدودها .

وفي الحديث الآخر : « من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين »[1] .

وفيه : جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين .

قوله : « دخل الجنة رجل في ذباب » أي : من أجله .

« ودخل النار رجل في ذباب، قالوا : وكيف ذلك يارسول الله، قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه - أي لا يمر به أحد ولا يتعداه - حتى يقرب لـه شيئاً - وإن قل - فقالوا لأحدهما : قرب، قال : ليس عندي شيء أقرب، قالوا لـه قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً، فخلوا سبيله فدخل النار» .

فيه : بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار .

وفيه : أن عمل القلب هو المقصود الأعظم .

قوله : « وقالوا : للآخر قرّب . قال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » .

فيه : بيان فضيلة التوحيد والإخلاص .

وفيه : معرفة قبح الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر على القتل ولم

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤٠/١٢/ ٤١٢، ٤١/ ٥١) وأصله في الصحيحين .

يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر[1]، والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) المسألة العاشرة .

١٠- باب لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية [التوبة: ١٠٨].

عن ثابت بن الضَّحَّاك رضي الله عنه قال: نَذَر رجلٌ أن ينحر إبلاً بِبُوانةَ، فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يُعبَد؟». قالوا: لا.

قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟». قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: «أوفِ بنذرِكَ، فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله، ولا فيما لا يملكُ ابنُ آدم».

رواه أبوداود، وإسناده على شرطهما[1].

قوله: «باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله، وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾» مناسبة الآية للترجمة أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن مسجد الضرار لما أعد لمعصية الله صار محل غضب فلا تجوز فيه الصلاة.

قوله: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة» موضع في تهامة[2].

«فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟، قالوا: لا» فيه: المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد

(١) رواه أبو داود (٣٣١٣)، وابن ماجه (٢١٣١)، وأحمد (٣/ ٤١٩،٦/ ٣٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠٤) رقم (١٧٤٦).

(٢) قال البغوي: موضع في أسفل مكة، دون يلملم. وقال ابن الأثير: هضبة من وراء ينبع. انظر: فتح المجيد (١/ ٢٨٣).

زواله[١] .

« قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟، قالوا : لا » المراد بالعيد هنا الاجتماع المعتاد عند أهل الجاهلية .

وفيه : استفصال المفتي[٢]، وسد الذريعة، وترك مشابهة الكفار .

قوله : « فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله »: فيه : دليل على أنه نذر معصية لو كان في الموضع وثن أو عيد من أعياد الجاهلية .

قوله : « ولا فيما لا يملك ابن آدم » أي : إذا نذر عتق عبد فلان، أو نحر هذه الناقة وهو لا يملكها فعليه كفارة يمين ولا نذر عليه، وكذلك نذر المعصية . والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) المسألة السادسة .

(٢) المسألة الرابعة

١١- باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان : ٧] .

وقولـه: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [البقرة: ٢٧٠] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أنْ يُطيعَ اللهَ فليُطِعْهُ، ومَنْ نذر أن يَعصي اللهَ، فلا يعصه»[١] .

قولـه : « باب من الشرك النذر لغير الله تعالى » أي : لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله تعالى شركاً في العبادة[٢] .

قولـه : « وقول الله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ » أي : بما نذروه طاعة لله وتقرباً إليه ، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ » أي : متشراً، فيتركون معصيته.

فدلت الآية على وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك طاعة لله، ووفاء بما تقرب به إليه .

قوله : « وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ » أي : وما أنفقتم من نفقة قليلة أو كثيرة حق أو باطل أو نذرتم من نذر في طاعة أو معصية فإن الله يعلمه، فيجازيكم عليه .

---

(١) رواه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) .

(٢) فتح المجيد (١/ ٢٨٧) .

﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴾ : الذين يضعون المال في غير موضعه.

﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ : ينصرونهم ويمنعونهم من العقوبة .

قولـه : « من نذر أن يطيع الله فليطعه » أي : فليفعل ما نذره من طاعة الله[١] .

« ومـن نـذر أن يعصي الله فلا يعصه » : زاد الطحاوي : **« وليكفر عن يمينه »**[٢] .

❀❀❀

(١) فتح المجيد (١/ ٢٩٢) .

(٢) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٤٣) .

١٢- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ .

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ نَزَلَ منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التّامّات مِنْ شرِّ ما خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شيءٌ حتّى يَرْحَل من منزلِهِ ذلك». [رواه مسلم][1] .

قوله : «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى» الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام ، وهي من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده ، فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك[2] .

قوله : « وقول الله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] » كان أهل الجاهلية إذا نزلوا وادياً قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فزاد الجن الأنس رهقاً، أي : إخافة وإرهاباً .

قال عكرمة[3]: كان إذا نزل الإنس وادياً هرب الجن منهم فلما سمع الجن يقول الإنس: نعوذ بأهل هذا الوادي قالوا: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالجنون والخبل .

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) . وما بين المعقوفين ليس في المخطوطة ، وأضفته من كتاب التوحيد كما في النسخ المطبوعة منه .

(٢) انظر : فتح المجيد (١/ ٢٩٥) .

(٣) هو عكرمة أبي عبدالله مولى ابن عباس رضي الله عنهما، أصله بربري، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، مات سنة ١٠٤ . التقريب (٤٧٠٧) .

قولـه: « من نـزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا بـه وبأسمائه وصفاته بدلاً مما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن[1].

قال القرطبي[2]: « هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعتُ هذا الخبر عملتُ عليه، فلم يضرَّني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقربٌ بالمهدية[3] ليلاً، فتفكرتُ في نفسي، فإذا بي قد نسيتُ أن أتعوذ بتلك الكلمات »[4].



(١) فتح المجيد (١/ ٢٩٨).

(٢) هو الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ولد سنة ٥٧٨ في قرطبة، فقيه محدث مالكي المذهب، لـه تلاميذ من أبرزهم: الإمام المفسر محمد بن أحمد القرطبي. لـه عدة مؤلفات منها: « المفهم في شرح ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم »، و« تلخيص صحيح مسلم ». توفي سنة ٦٥٦ ودفن بالإسكندرية.

(٣) مدينة ببلاد المغرب بناها المهدي بن تومرت ونسبت إليه.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٣٦).

١٣- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ الآية [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت :١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآيتين [الأحقاف :٥].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ الآية [النمل :٦٢].

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاثُ بالله»[(١)].

قوله: «باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره» الاستغاثة: هي طلب الغوث وهو إزالة الشدّة، وعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩)، وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧).

استغاثة[١].

قوله : « وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ »: فلا يقدر على النفع والضر إلا الله .

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ أي : عبدت غيره .

﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الواضعين العبادة في غير موضعها .

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ : يصبك ببلاء ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ » أي : أطلبوه من الله وحده فإنه الخالق الرازق .

﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ : لا تعبدوا معه غيره .

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ : با متثال أمره واجتناب نهيه و الا عتراف بنعمته .

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقائه فسيجازي كل عامل بعمله .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ » أي : لا أضل ممن يعبد مع الله من لا يستجيب له لو سمع دعاءه أبداً .

﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنهم إما جمادات، و إما عباد مأمورون مشتغلون بأحوالهم ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ .

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ

(١) فتح المجيد (١/ ٣٠١) .

مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨] فمن دعا مع الله غيره ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو حجراً أو شمساً أو قمراً فقد أشرك في عبادة الله غيره، وطلب منه ما ليس له، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

قوله: « وقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الْأَرْضِ ﴾ » أي: سكانها يهلك قرنا وينشأ آخر.

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ يفعل ذلك ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

قوله: «كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين» قيل إنه عبدالله بن أُبي. «فقال بعضهم»: أي: بعض الصحابة قيل هو أبو بكر رضي الله عنه: «قوموا

بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق »؛ لأنه ﷺ يقدر على كف أذاه فقال النبي ﷺ: « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله »: كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته [حماية] لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه عز وجل[1].

---

(١) انظر: فتح المجيد (١/ ٣٢٣).

١٤- باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ الآية [فاطر : ١٣] .

وفي الصحيح عن أنس قال : شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرتْ رُباعيتُه فقال : «كيف يفلح قومٌ شجُّوا نبيهم ؟» فنزلت : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران : ١٢٨][1] .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : « اللهم العن فلاناً وفلاناً » بعدما يقول : « سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد »، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2]. وفي رواية : « يدعو على صفوان بن أُميّة وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[3].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ حين أُنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٤] فقال : « يا معشر قريش - أو كلمةً نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباسُ بنَ

(١) رواه مسلم (١٧٩١)، وأحمد (٣/٢٥٣، ٢٨٨) .

(٢) رواه البخاري (٤٠٦٩، ٤٠٧٠، ٤٥٥٩، ٧٣٤٦) .

(٣) رواه البخاري (٤٠٧٠) مرسلاً، ووصله الترمذي (٣٠٠٧)، ورواه أحمد في المسند (٢ / ٩٣) من حديث ابن عمر .

عبدالمطلب لا أغني عنكَ من الله شيئاً، يا صفيَّةُ عمةَ رسول الله ﷺ لا أغني عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنكِ من الله شيئاً »[1].

قولـه : « باب قول الله تعالى ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ [الأعراف :١٩١] » من الأنداد والأصنام والأوثان .

﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي : هم مخلوقون مربوبون .

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ أي: لا يستطيعون لعابديهم نصراً، ولا يقدرون على دفع المكروه عن أنفسهم من سحر أو نحوه .

قولـه : « وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ » : يخبر تعالى أن آلهتهم التي يعبدونها لا يملكون شيئاً حتى لفافة النواة، وهذا عام في الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها، كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ :٢٢] .

قولـه : « شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحُد وكُسرت رباعيته فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ » : قال ابن عطية : كان النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فقيل

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١) .

لـه بسبب ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أي : عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء لربك[١].

قولـه : « ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ » أي : استحقوا العذاب بظلمهم.

قال النووي : وفي هذا وقوع الأسقام[٢] والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم فيأتسوا بهم[٣].

قولـه : « عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : « اللهم العن فلاناً وفلاناً » - وفي رواية - يدعو على صفوان ابن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد هم وأبو سفيان بن حرب فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ » فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم.

وفي هذا ما يبين بطلان ما يعتقده عُبّاد القبور، في الأنبياء والصالحين أنهم يعلمون الغيب، وينفعون من دعاهم ويمنعون من لاذ بحماهم . بل الأمر كله لله سبحانه وتعالى.

قولـه: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال :«يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم » أي : بتوحيد

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٢٢٦).

(٢) في المنهاج : الانتقام !.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص/ ١١٥٨) ط. بيت الأفكار.

الله تعالى، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته في ما أمره به والانتهاء عما نهى عنه[١].

« لا أغني عنكم من الله شيئاً » أي : لا ينفعكم نسبي فلا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح، فإذا كان لا ينفع بنته وعمته وعمه وقرابته إلا ذلك فغيرهم أولى وأحرى . وبالله التوفيق .

قال المصنف رحمه الله تعالى : « فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني من الله شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين »[٢] .

❀❀❀

(١) فتح المجيد (١/ ٣٣٦-٣٣٧) .
(٢) المسألة الثالثة عشرة .

١٥- باب قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبت الملائكةُ بأجنحتها خَضعاناً لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان، ينفُذُهم ذلك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾، فيسمعها مُسترق السَّمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفّه فحرّفها وبدّد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيُلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخرُ إلى من تحته حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يُلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيُقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء »[1].

وعن النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد اللهُ تعالى أن يُوحيَ بالأمر تكلّم بالوحي أخذتِ السماوات منه رجفةٌ أو قال رعدةٌ شديدة، خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهلُ السماوات صَعِقُوا وخرُّوا لله سُجّداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريلُ، فيُكلّمه اللهُ من وَحيه بما أراد، ثم يمرُّ جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربُّنا يا جبريل؟ فيقول جبريل : قال الحقَّ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثلَ ما قال جبريلُ . فينتهي جبريلُ بالوحي إلى

(١) رواه البخاري (٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١)، والترمذي (٣٢٢١)، وابن ماجه (١٨٢).

حيثُ أمرَهُ اللهُ عز وجل »[1] .

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ :٢٣] .

قوله : « ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ » أي : كشف الفزع عنها مما أصابهم عند سماع كلام الله .

﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي : الملائكة .

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ أي : قالوا: قال القول الحق .

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فله العلو الكامل : علو القدر، وعلو القهر ، وعلو الذات .

﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾: الذي لا أكبر منه سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر :٦٧] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ ﴾ [طه :٥-٦] .

قيل لعبدالله بن المبارك: بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه بائن من خلقه[2] .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٩١)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٠٦).

(٢) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص/ ٢٧٢)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص/ ١٢٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص/ ٤٢٧) . انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ١٣٤-١٣٥-٢١٣-٢١٤) .

قوله: « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك » أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل «ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً» أي: خاضعين لقوله.

« كأنه سلسلة على صفوان » أي: كأن الصوت المسموع سلسلة على صفوان وهو الحجر الأملس.

« ينفذهم ذلك » أي: يمضي فيهم حتى يفزعوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فيسألونه فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل.

« فيسمعها مسترق السمع » أي: يسمع الكلمة التي قضاها الله.

وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعاً: « إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قُضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان »[1].

قوله: « ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان » أي: ابن عيينة[2] بكفه.

« فحرَّفها وبدَّد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته » ثم

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٠).

(٢) هو سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، الإمام الحافظ، أبو محمد الهلالي، الكوفي ثم المكي، ولد سنة ١٠٧ في الكوفة، حُجة، أتقن وجوَّد وجمع وصنف، وازدحم عليه الخلق، انتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة ١٩٨

يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن .

« فربما أدركه الشهاب » أي : النجم قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه «فيكذب معها مائة كذبة » أي : الكاهن أو الساحر .

«فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ، فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » قال المصنف ـ رحمه الله ـ : [وفيه] قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟[1] .

قوله: «وعن النواس بن سمعان» هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم[2] .

قوله : « إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة » أي : ارتجفت السماوات منه .

أو قال : « رعدة شديدة » شك من الراوي هل قال : رجفة شديدة أو قال : رعدة شديدة .

« خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا أو خروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ . فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » .

---

(١) المسألة الثامنة عشرة .

(٢) كما ذكر ابن كثير في تفسيره (٦/ ٥٠٤)، ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢٠٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٥)، والآجري في الشريعة (٢٩٤) .

وفيه : فضيلة جبريل عليه السلام .

وعن ابن مسعود قال : « رأى رسول الله ﷺ جبريلَ في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سَدَّ الأفُقَ، يسقط من جناحه من التهاويل والدُّرِّ والياقوت ما الله به عليم » رواه أحمد[1] .



(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤) رقم (٣٧٤٨)، وقال المحقق : إسناده ضعيف لضعف شريك، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير عاصم ابن أبي النجود وهو حسن الحديث ... وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٣٣٩) ... وقد ورد بعضه بأسانيد صحاح ...

التهاويل : قال ابن الأثير : أي الأشياء المختلفة الألوان، ومنه يقال لما يخرج في الرياض من ألوان الزهر: التهاويل، وكذلك لما يُعلَّق على الهوادج من ألوان العهن والزينة، وكأن واحدها تهوال، وأصلها مما يَهُولُ الإنسان ويحيره .

١٦- باب الشفاعة

وقول الله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام :٥١] .

وقوله : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر :٤٤] .

وقوله : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة :٢٥٥] .

وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم :٢٦] .

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الآيتين [سبأ :٢٢-٢٣] .

قال أبوالعباس: « نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مُلْكٌ، أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبقَ إلا الشفاعة فبيَّنَ أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أولاً ـ، ثم يُقال له : « ارفع رأسك، وقل يُسمَع، وسلْ تُعط، واشفع تُشفَّع »[(١)].

وقال له أبوهريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال :

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) .

«من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[(١)]. فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقتها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليُكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقاً، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص». انتهى كلامه[(٢)].

قوله: «باب الشفاعة» أي: بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقته ما دل القرآن على إثباته[(٣)].

قوله: «وقول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾» أي: بالقرآن.

﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: يخافون هول يوم المحشر، وهم المؤمنون أصحاب القلوب الواعية.

﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ﴾ يتولى أمرهم.

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم بغير أذنه.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيعملون عملاً في الدنيا، ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

---

(١) رواه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧-٧٩).

(٣) فتح المجيد (١/ ٣٥٣).

قولـه : « وقولـه تعالى ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ » يتبين معناها بما قبلها وهـي قولـه تعـالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الزمر :٤٣] أي : هـو مالكها لا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذنه .

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ :٢٣] ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر :٤٤] فيحكم بينكم بالعدل .

قـال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفـى ، قـال الله تعـالى : ﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(١)]

قـال البيضـاوي : لعلـه ردٌّ لمـا عسـى أن يجيبوا بـه وهـو أن الشـفعاء أشخاص مقربون .

قولـه : «وقولـه تعـالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾» هذه بعض من آية الكرسي وأولها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ المتفرد بالألوهية.

﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ الذي لا يموت أبداً ، ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ دائم القيام بتدبير الخلق .

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾ فتور ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ .

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ بيان لعظمته وجلاله .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمور الدنيا والآخرة .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أن يعلموا .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٥/ ٣٩٥)

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي : هو أعظم منها وأكبر، والعرش أكبر منه ، والله أكبر من كل شيء .

﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي : لا يثقله ولا يكرثه .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ ﴾ الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الأشباه والأنداد، ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم »[1] .

وفي الحديث الآخر : «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس »[2] .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : « ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض »[3] .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ » أي : كثيراً منهم

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (١٩٤)، و (٥٩٤)، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦) عن عاصم به، وقال الألباني في مختصر العلو (١٠٣) : إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة (٢/ ٥٨٧) رقم (٣١) من رواية عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧٩٤)، و أبو الشيخ في كتاب العظمة (٢٢٠، ٢٥٢) وهو ضعيف .

مع علو رتبتهم لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء و يرضى، فكيف ترجون شفاعة الأنداد الجماد عند الله ؟.

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ » أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنهم آلهة من دون الله من الملائكة وغيرهم ليكشفوا عنكم ضركم و يعينوكم ويرزقوكم .

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ من خير وشر .

﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ أي : لا يملكون شيئاً استقلالاً ، ولا على سبيل الشركة .

﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ أي : عوين.

﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ أن يشفع .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : أزيل الفزع عنها .

﴿ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ له العلو والكبرياء سبحانه وتعالى .

وهذه الآية تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

قوله: «قال أبو العباس» أي: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ

« نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله ، فلم يبق إلا الشفاعة؛ فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ... إلى آخره »[1]. وهذا تفسير لقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية . والله المستعان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧)

١٧- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية .

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل . فقال له : يا عم، قل : لا إله إلا الله، كلمةً أحاج لك بها عند الله، فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا . فكان آخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ الآية [التوبة : ١١٣] .

و أنزل الله في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] [القصص :٥٦] .

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ » أي : ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، ولكن الله يهدي من يشاء هدايته ، وهو أعلم بالمهتدين، فهداية التوفيق بيد الله تعالى، وأما الهداية المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى :٥٢] فإنها هداية الدلالة والبيان .

قوله : « لما حضرت أبا طالب الوفاة » أي : علاماتها ومقدماتها .

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤) .

« جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل فقال لـه : يـا عـم، قـل لا إلـه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » . أمره أن يقولها، لعـلم أبـي طالب وغيره من مشركي العرب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده .

ولهذا لما قال لهم : « قولوا : لا إله إلا الله »، قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] .

قولـه : « فقـالا لـه : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ . فأعاد عليه النبي ﷺ فأعـادا » : ذكّراه الحجّةَ الملعونة، التي يحتج بها المشركون على المرسلين. كمـا قـال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف :٢٣] .

« فكـان آخـر مـا قال : هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله » .

قـال المصنف - رحمه الله - : وفيـه : الـرد عـلى مـن زعـم إسـلام عبدالمطلب، وأسلافِهِ[1]، ومضرّةُ أصحاب السوء على الإنسان[2] .

قولـه : « فقال النبي ﷺ : لأستغفرن لـك ما لم أُنه عنك » فأنزل الله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣]، وأنـزل الله في أبـي طالـب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾، وفي رواية، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآيـة، ونـزل في أبـي طالـب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

---

(١) المسألة السادسة .

(٢) المسألة الثامنة .

١٨- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ الآية [النساء : ١٧١] .

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح :٢٣] قال: « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تُعبَد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلمُ عُبِدَتْ »[1] .

وقال ابن القيم : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوهم » .

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطروني كما أطْرَت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسوله » . أخرجاه[2] .

وقال : قال رسول الله ﷺ: « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو »[3] .

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٠) . وفيه : « وتنسخ العلم عبدت » .

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) .

(٣) رواه الإمام أحمد (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/ ٢٦٨) ، وابن ماجه (٣٠٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٨٣) .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً[١].

قوله : « باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين » أراد المصنف - رحمه الله تعالى - بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله[٢].

قوله: «وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾» الغلو: هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله.

والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في العزير، كما قال تعالى: ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد :١٦]؛ ولهذا قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله ».

فكل من دعا نبياً أو ولياً من دون الله فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى في شركهم، وعبد مع الله غيره، وقد حرّق علي بن أبي طالب رضي الله عنه غلاة الرافضة[٣] لما ادّعوا فيه الألوهية.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠)، و أبو داود (٤٦٠٨).

(٢) انظر: فتح المجيد (١/ ٣٧١).

(٣) لم تكن الرافضة معروفة بهذا الاسم في ذلك الوقت وإنما سماهم بهذا الاسم زيد بن علي بن الحسين - رحمه الله - وإنما مقصود المؤلف السبئية فإنهم =

قوله : « عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح :٢٣] قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح » أي : فصارت صورهم بسبب الغلو فيهم أصناماً تُعبد من دون الله، أما وَدٌّ فكانت لكَلْب بدومة الجندل، وأما سواعٌ فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، وأما يعوق فكان لهمْدان ، وأما نسر فكانت لحمير .

قوله : « فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم؛ عُبدت »، رواية البخاري : « ونُسِخ العلم عُبدت »، أي : لما دَرَسَت آثار العلم بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك عبدوها مع الله؛ ظناً منهم أنه ينفعهم عند الله .

قوله : « لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبدالله ورسوله » الإطراء : مجاوزة الحد في المدح، وقد وقع في هذا الإطراء كثير من هذه الأمة، وقالوا: إن رسول الله ﷺ يجيب من دعاه، ويعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كما اشتهر ذلك في نظم البوصيري[1] في

= ظهروا في وقت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهم أسلاف الرافضة . انظر : منهاج السنة (١/ ٢٨)، و مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٤، ٣٧٠) .

(١) هو محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى بلدته أبوصير بين الفيوم وبني سويف بمصر، ولد سنة ٦٠٨، واشتغل بالتصوف، وكان على الطريقة الشاذلية، له ديوان شعر مطبوع، توفي سنة ٦٩٥ .

انظر: بحث قوادح عقدية في بردة البوصيري للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف =

البردة[1] حيث قال :

يـا أكـرم الخلـق مـا لـي مـن ألـوذ بـه
سـواك عـند حلـول الحـادث العَمِـم !!

وقال :

فـإن مـن جـودك الدنـيا وضـرتها
ومـن علومـك عـلم اللـوح والقـلم

فأي إطراء وأي غلو، وأي شرك أعظم من هذا ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٨] .

قولـه : « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » قال شيخ الإسـلام : هـذا عـام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال وسبب هذا اللفظ رمي الجمار[2] .

= ضـمن كـتاب « حقـوق الـنبي ﷺ بـين الإجـلال والإخـلال » نشـر المنتدى الإسلامي .

(١) قصيدة ميمية اسمها « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » في ١٦٢ بيتاً غلا فيها الناظم في مقام النبي ﷺ وتجاوز الحد المشروع ، وقد رد على هذه القصيدة طائفة من العلماء . انظر : كتاب الشيخ العلامة عبدالله أبابطين مع تحقيق رسالته الرد على البردة للدكتور علي العجلان (ص/ ٣٥٠-٣٥١) ، وهي من أشهر المدائح النبوية وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، تجاوزت شروحها خمسين شرحاً !! والله المستعان.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٨-٣٢٩) ط. دار العاصمة ١٤١٩هـ . وتمام كلام شيخ الإسلام : فالغلو فيه : مثل الرمي بالحجارة الكبار . اهـ .

قوله : « هلك المتنطعون » قال الخطابي : المتنطع : المتعمق في الشيء، المتكلف البحث عنه، على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم[١] .

ومن التنطع : الامتناع من المباح مطلقاً، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء . ويظن أن هذا من الزهد المستحب[٢]. انتهى . وبالله التوفيق .



(١) معالم السنن (٧/١٣) الطبعة المختصرة .
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥١١)

١٩- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أمَّ سَلَمة ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : «أولئكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح ـ أو العبدُ الصالح ـ بنوْا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أولئكِ شرارُ الخلق عند الله»[١]. فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

ولهما عنها قالت : لما نُزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرحُ خميصة له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفَها، فقال وهو كذلك : «لعنةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد» . يُحذِّر ما صنعُوا، ولولا ذلك أُبرزَ قبرُه، غير أنه خَشي أن يُتَّخذ مسجداً . أخرجاه[٢].

ولمسلم عن جُندَب بن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أنْ يموتَ بخمس وهو يقول : « إني أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ مُتَّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبابكرٍ خليلاً، ألاَ وإنَّ مَنْ كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، فإني أنهاكُم عن ذلك»[٣].

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فَعَلَهُ .

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨) .

(٢) رواه البخاري (٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠)، ومسلم (٥٣١) .

(٣) رواه مسلم (٥٣٢) .

والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنَ مسجدٌ، وهو معنى قولها : «خُشي أن يتخذ مسجداً »، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قُصدتِ الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجداً، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يُسمَّى مسجداً، كما قال ﷺ : « جُعلت ليَ الأرضُ مسجداً وطهوراً »[(١)].

ولأحمد بسند جيّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً « إن من شرار الناس من تُدركهم الساعة وهم أحياء ؛ والذين يتخذون القبور مساجد» . ورواه أبوحاتم في صحيحه[(٢)].

قوله : « باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده » أي : الرجل الصالح فإن عبادته شرك أكبر، وعبادة الله عند قبره وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر وهو أعظم الذنوب[(٣)].

قوله : « إن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور وكانت أم سلمة قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة، فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح - شك من الراوي - بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥، ٣١٢٢)، ومسلم (٥٢١) .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥٣١٦)، وابن خزيمة (٢/ ٧) رقم (٧٨٩)، قال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي : إسناده حسن، وعلقه البخاري في الفتن بصيغة الجزم عن ابن مسعود مرفوعاً دون الجملة الأخيرة منه .

(٣) فتح المجيد (١/ ٣٨٥)

أولئك شرار الخلق عند الله » قال البيضاوي : لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم، فيجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً لعنهم النبي ﷺ .

قوله : « فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل » هذا من كلام شيخ الإسلام، ذكره المصنف تنبيهاً على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد .

قولها : «لما نزل برسول الله ﷺ» أي : نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام[1] .

« طفق » أي : جعل .

«يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمّ بها كشفها فقال - وهو كذلك - : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذّر ما صنعوا .

قال القرطبي : وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام .

قوله : « ولولا ذلك لأبرز قبره » أي: مع قبور الصحابة في البقيع، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً .

قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدّوا المداخل إليها، وجعلوها مُحدقةً بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يُتّخذ موضعُ قبره قبلة - إذ كان مستقبل المصلين - فتصور

(١) فتح المجيد (١/ ٣٨٩) .

الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة[١] من ناحية الشمال، حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره . انتهى[٢] .

قوله : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل » الخليل: هو المحبوب غاية الحب، قال القرطبي : وإنما كان ذلك ؛ لأن قلبهُ ﷺ قد امتلأ [بما تخلله] من محبة الله وتعظيمه، ومعرفته فلا يسع خلة غيره[٣].

قوله : «فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا »، قال الزجاج : معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل، والخلة الصداقة، فسمي خليلا لأن الله أحبه واصطفاه .

قوله :« ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً » .

فيه : بيان أن الصديق أفضل الصحابة .

قوله : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »، قال الخلخالي[٤]: وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين :

أحدهما : أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً .

---

(١) في المفهم : مثلث .
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ١٢٨) .
(٣) المفهم (٢/ ١٢٩) .
(٤) الخلخالي : هو محمد بن مظفر الخطيبي ، شمس الدين ، محدث وأديب (ت٧٤٥ تقريباً ، له كتاب « المفاتيح شرح مصابيح السنة » ، «شرح المختصر» . انظر الدرر الكامنة (٤/ ١٦٠))

الثاني : أنهم يُجَوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء .

والأول هو الشرك الجلي، والثاني الخفي، فلذلك استحقوا اللعن .

قوله : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»، أي : بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها.

قال شيخ الإسلام : « وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين »[1].

❀ ❀ ❀

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٧) .

٢٠- باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[١].

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] قال : « كان يلُتُّ لهم السَّويق فمات؛ فعكفوا على قبره »[٢].

وكذا قال أبو الجوزاء[٣] عن ابن عباس « كان يلُتُّ السَّويق للحاج »[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها السُّرُج »[٥] رواه أهل السنن .

قوله : « باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين » أي : تعظيمها بالبناء عليها والصلاة عندها ونحو ذلك يصيرها أو ثاناً تعبد من دون الله كعبادة

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦)، وأبو يعلى (٦٦٨١)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧) بإسناد صحيح، ورواه الإمام مالك في الموطأ (٢٦١) والحديث صحيح لشواهده. انظر : أحكام الجنائز (ص ٢٧٦-٢٧٧) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ٥٨) .

(٣) هو أوس بن عبدالله الرَّبعي ثقة مشهور، مات سنة ٨٣ .

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٩) .

(٥) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٥)، وابن ماجه (١٥٧٥) . قال الألباني : ضعيف . انظر : ضعيف سنن أبي داود (ص٣٢٦) رقم (٧٠٦) .

الأصنام .

قولـه : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، أشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فيه: تحريم البناء على القبور، وأن ذلك وسيلة إلى عبادتها من دون الله .

قولـه : « عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾. قال : كان - أي اللات - يلُتُّ لهم السويق فمات فعكفوا على قبره » وفي رواية : «فيطعم من يمر من الناس فلما مات عبدوه، وقالوا : هو اللات» .

ومناسبته للترجمة أنهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه وصار قبره وثناً من أوثان المشركين.

قولـه : « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » اللعن صريح في التحريم، وزيارة النساء القبور مظنة للجزع المفضي إلى الندب والنياحة لضعفهن وقلة صبرهن، قال أبو محمد المقدسي : لو أبيح اتخاذ السرج على القبر لم يُلعن من فعله، لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام .

وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني[١] : « والمشاهد التي صارت أعظم

---

(١) هو الإمام محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، ولد في كحلان باليمن سنة ١٠٩٩، رحل مع والده سنة ١١١٠ إلى صنعاء فأكب على طلب العلم لدى كبار شيوخ عصره، برز في كثيراً من العلوم وخاصة علم الحديث حتى بلغ رتبة الاجتهاد، وتوفي في صنعاء سنة ١١٨٢، ترك الكثير من المؤلفات منها : « سبل السلام شرح بلوغ المرام »، و « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد » . انظر : هجر العلم ومعاقله في اليمن للقاضي إسماعيل الأكوع (٤/ ١٨١٥- ١٨٥٥) .

الذريعة إلى الشرك والإلحاد، غالب من يعمرها الملوك والسلاطين . إما على قريب لهم، أو على من يُحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم .

ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون .

حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم من يرى قبراً قد شُيِّد عليه بالبناء، وسُرجت عليه الشموع، وفُرش بالفراش الفاخر . فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضر، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلّته كل باطل. والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية، من لعن من سرّج القبور وكتب عليها وبنى عليها . وأحاديث ذلك واسعة معروفة ؛ فإن ذلك في نفسه منهيٌّ عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة »[1] انتهى . والله المستعان .

❀ ❀ ❀

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص/ ٤٨) ط . صبيح .

٢١- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات[(١)].

وعن عليِّ بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجَةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدِّثكَ حديثاً سمعتُه من أبي عن جدِّي عن رسول الله ﷺ قال: « لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في المختارة[(٢)].

قوله: « باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك » الجناب: هو الجانب، والمراد حماية التوحيد عما يقربُ منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قوله: «وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾» تعرفون حسبه ونسبه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الضياء المقدسي في المختارة (٤٢٨)، وأبو يعلى في المسند (٤٦٩)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وحسنه الألباني.

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾ شديد شاق عليه .

﴿ مَا عَنِتُّمْ ﴾ ما اعنتكم وضركم .

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أي : على إيمانكم وصلاحكم .

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي : وغلظته وشدته على الكافرين والمنافقين .

قوله : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً » أي : لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور .

قوله : « ولا تجعلوا قبري عيداً » أي : تقصدونه وتتابونه للتبرك به والدعاء عنده .

« وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » قال شيخ الإسلام : يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً[1] .

قوله : « وعن علي بن الحسين » أي : ابن علي رضي الله عنهم .

« أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه » وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها .

قال شيخ الإسلام : « ما علمتُ أحداً رخص فيه، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦٥٧) .

قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك »[١] .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى »[٢] .

❀ ❀ ❀

(١) انظر الاقتضاء (١/ ٣٩٤) .

(٢) رواه البخاري (١١٩٧، ١٩٩٥) . ومسلم (٨٢٧)

٢٢- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم حذو القُذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه».

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟. قال: «فمن؟». أخرجاه[1] ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُويَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين: الأحمرَ والأبيض، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنة بعامة، وأن لا يسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدّ، وإني أعطيتُك لأمّتك أن لا أُهلكهم بسَنةٍ بعامة، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»[2]. ورواه البرقاني في صحيحه.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٩).

وزاد : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان، وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تبارك وتعالى»[1].

قولـه : « باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان » الوثن : يطلق على كل ما عبد من دون الله من الأصنام والقبور وغيرها .

قولـه : « ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ » حظاً قليلاً من الكتاب .

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ السحر .

﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان، وعن ابن عباس : الجبت الشرك .

قولـه: «﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾» سأل قريش أحبار اليهود ديننا خير أم دين محمد ؟ فقالوا : دينكم خير وأنتم أهدى فنزلت .

قولـه : « وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ » يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والإمام أحمد (٥ / ٢٧٨، ٢٨٤) وهو صحيح .

مِنَّآ﴾ أي : هل تكرهون منا .

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: هل كرهتم منا إلا إيماننا وفسقكم، أي : إن كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنَّا على حق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة، وحب الأموال .

قال ابن عباس : أتى النبيَّ ﷺ نفرٌ من اليهود : أبو ياسر ابن أخطب ورافع بن أبي رافع وغيرهما فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال : «أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته، وقالوا : والله ما نعلم أهلَ دينٍ أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ أخبركم ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرتم ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاء ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ .

﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي : هو من لعنه الله .

﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ يعني : اليهود .

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ كأصحاب السبت، وكفار مائدة عيسى عليه السلام، ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ أي : جعل منهم من عبد الطاغوت أي : أطاع الشيطان فيما سول له .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق الحق وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر له مشاركة كقوله

تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ »

و المراد : أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله، وقد قال ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

قوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » أي : طريق من كان قبلكم .

« حذو القذة بالقذة » أي : لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهونهم[(١)] في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى، وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة، وقد وقع كما أخبر ﷺ وهو علم من أعلام النبوة.

قوله : « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وفي حديث آخر : «حتى لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك »[(٢)].

أراد ﷺ أن أمته لا تدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله، لا تترك منه شيئاً ؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى .

قوله : « قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال : «فمن ؟» استفهام تقرير أي : فمن هم غير أولئك ؟.

قوله : « ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الله

---

(١) في فتح المجيد : وتشبهوهم .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤٣)، وقال : هذا حديث مفسر حسن غريب . ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ،وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها » قال القرطبي : هذا الخبر وجد مُخبرُهُ كما قال ﷺ، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن مُلكَ أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق، مما وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند والصغد[1] . ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن مُلك أمته يبلغه[2].

قوله : « وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » والمراد بالأحمر كنز قيصر ملك الروم، والأبيض كنز كسرى ملك الفرس، وقد افتتح المسلمون بلادهما وأنفقوا كنوزهما في سبيل الله .

قوله : « وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ عامة » أي : بالجدب الذي يكون به الهلاك العام .

قوله : «وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم» أي : حوزتهم وجماعتهم وإن قلوا .

قوله : « وإن ربي قال : يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً » .

وفيه: عَلَم من أعلام النبوة فقد تسلط بعضهم على بعض لكثرة

---

(١) بلاد واسعة فيما وراء النهر، عاصمتها سمرقند . معجم البلدان (٣/ ٤٠٩) .
(٢) المفهم (٧/ ٢١٧) .

اختلافهم وتفرقهم ولا راد لما قضى الله .

قولـه : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » أي : من الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بالظن والهوى .

قـال الله تعـالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب] .

وعـن زيـاد بـن حُدَيـر[١] قـال قال لي عمر رضي الله عنه : هل تعرف ما يهدم الإسـلام؟ . قلت : لا . قـال : يهدمـه زلّةُ العالم، وجدالُ المنافق بالكتاب وحكمُ الأئمة المضلين . رواه الدارمي[٢] .

قولـه : « وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة » وكذلك وقع كما أخبر ﷺ، فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع وكذلك يكـون إلى يـوم القيامة، ولكـن قـد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى[٣] .

قولـه : « ولا تقـوم السـاعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبـد فئام من أمتي الأوثان » الحي : بطن من بطون العرب يجمع قبائل وفي روايـة أبـي داود : « حتى يـلحق قـبائل مـن أمـتي بالمشـركين » والفـئام : الجماعات الكثيرة .

(١) وهو الأسدي ثقة عابد من الثانية . التقريب (٢١٨) .
(٢) رواه الدارمي (١/ ٧١)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٦٩) .
(٣) فتح المجيد (١/ ٤٥٣) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب إلياتُ نساء دوس عند ذي الخلصة »[1] قال: وذو الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية، وقد وقع ما أخبر به ﷺ فقد بنيت القباب على القبور واتخذت أوثاناً تعبد من دون الله كما عبدت اللات والعزى ومناة .

قال الشوكاني في « المنتقى » على حديث أبي الهياج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته »[2].

قال : « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام .

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية

---

(١) رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) .

(٢) رواه مسلم (٩٦٩) .

للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً، ولا وزيراً[1] ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك، احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟ . وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً ؟.

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لمن تُنادي

ولو ناراً نفختَ فيها أضاءتْ ولكن أنتَ تنفخ في رمادِ

انتهى[2] .

قلت : قد وجدنا ولله الحمد من قام بهذا الأمر وهدم بعض هذه الأوثان وأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصنف هذا الكتاب وذريته وأعوانه – رحمهم الله تعالى – وقد أيدهم الله ونصرهم بآل سعود أعزهم الله تعالى ونصرهم كما نصروا التوحيد وأهله .

قوله : « وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي » المراد بهؤلاء الكذابين من قامت له شوكة

(١) في نيل الأوطار : ولا أميراً .

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (٤/ ١١٩-١٢٠) دار الفكر .

كمسيلمة والأسود العنسي وسجاح والمختار وأمثالهم، وليس المراد من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم كثيرون لكون غالبهم ينشأ ذلك منه عن جنون أو سوداء .

قوله : « ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى » قال ابن المبارك وغيره : الطائفة المنصورة هم أهل الحديث .

وقال النووي : يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة ، من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد . ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، فيجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، وتجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله . انتهى[1]. والله أعلم .

❀ ❀ ❀

---

(١) ملخص من كلام النووي قاله ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٢٩٥) .
وانظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (ص/ ١٢٢٦) ط. بيت الأفكار

٢٣- باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[١].

وقال جابر: الطواغيت كهّان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حيٍّ واحدٌ[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولّي يومَ الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[٣].

وعن جندب مرفوعاً: «حدُّ الساحر ضربةٌ بالسيف». رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف[٤].

وفي صحيح البخاري عن بَجَالَة بن عَبَدَة قال: كتب عمر بن الخطاب

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ١٣٥) وقوى ابن حجر إسناده.
(٢) علقه البخاري (٨/ ٢٥١)، ووصله ابن جرير (٤/ ٥٥٨).
(٣) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).
(٤) رواه الترمذي (١٤٦٠)، والطبراني في الكبير (١٦٦٥)، والحاكم (٤/ ٣٦٠)، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن الترمذي (ص ١٦٨) رقم (٢٤٤).

عليهم: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر[1] .

وصحّ عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سَحرتها، فقُتِلت[2] .

وكذلك صحّ عن جُنْدَب .

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

قولـه : « باب ما جاء في السحر » قال أبو محمد المقدسي[3] : السحر : عزائم ورقى وعقد، تؤثر في القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه[4] .

قوله : «وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾» أي: اختار السحر .

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي : الجنة

﴿مِنْ خَلَاقٍ﴾ ، من نصيب .

قولـه : « وقولـه تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ » قال عمر : الجبت : السحر، والطاغوت : الشيطان .

وقال جابر : « الطواغيت كُهّان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي

---

(١) رواه أبو داود (٣٠٤٣)، وليس الحديث في البخاري كما نبه على ذلك صاحب تيسير العزيز، والحديث صحيح .

(٢) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في المسائل (١٥٤٣)، والبيهقي (٨/ ١٣٦) وإسناده صحيح .

(٣) هو عبدالله بن أحمد موفق الدين بن قدامة ، من فقهاء الحنابلة، ولد سنة ٥٤١، وتوفي بدمشق سنة ٦٢٠، صنّف التصانيف الفائقة منها : « المغني » ، « الكافي » ، « المقنع » . انظر سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)

(٤) انظر المغني (١٢/ ٢٩٩)

واحد » هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال : سألت جابر ابن عبدالله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، قال : إن في جهينة واحداً، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حي واحداً وهم كهان كانت تنزّل عليهم الشياطين[(١)] .

قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات » أي : المهلكات .

« قالوا : يا رسول الله وما هن ؟، قال : الشرك بالله » هو أن يجعل لله نداً يدعوه و يرجوه ويخافه كما يخاف الله، وبدأ به لأنه أعظم الذنوب، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء :٤٨]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة :٧٢] .

قوله : « والسحر » هذا وجه مناسبة الحديث للترجمة .

قوله : « وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق » أي : حرم قتلها إلا بأن تفعل ما يوجب ذلك كالردة والنفس بالنفس، والزنا بعد الإحصان، كما في الحديث الصحيح : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة »[(٢)] . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير، وابن جرير الطبري ، والبخاري معلقاً، كما في فتح الباري (٨/ ٢٥١) . وانظر : تفسير الطبري (٤/ ٥٥٨) .

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) .

قوله : « وأكل الربا » أي : تناوله بأي وجه كان، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ [البقرة :٢٧٥] الآيات . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران :١٣٠] .

قوله : « وأكل مال اليتيم » يعني : التعدي فيه . وعبر بالأكل كما في الآية لأنه أعم وجوه الانتفاع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء :١٠].

قوله : « والتولي يوم الزحف » أي : الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال . قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الأنفال :١٥-١٦] .

قوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» أي: رمي النساء العفائف الغافلات عما يرمين به من الزنا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ[1] عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣] .

قوله : « وعن جندب مرفوعاً » : « حد الساحر ضربة بالسيف » وفي رواية : عنه أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حد الساحر ضربة بالسيف » .

قوله : « وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال كتب عمر بن

(١) تكررت في الأصل كلمة عذاب

الخطاب: أن أقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت.

وكذلك صح عن جندب، قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يعني عمر وحفصة وجندب. قال الموفق في «المغني»: وهل تقبل توبة الزنديق ومن تكررت ردته ومن سب الله تعالى ورسوله والساحر؟ على روايتين:

أحدهما: لا تقبل توبته ويقتل بكل حال.

والأخرى: تقبل توبته كغيره. انتهى[1].

وكذلك اختلف العلماء في قبول توبة الساحر، فقال مالك: لا تقبل توبته.

وقال الشافعي: تقبل.

وقال مالك: يُقتل بمجرد تعلمه واستعماله، وإن لم يَقْتُل به.

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقتل إلا إن قتل به، وقال الشافعي أيضاً: إنما يُقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ الكفر.

قال الشوكاني: والأرجح ما قاله الشافعي؛ لأن الساحر إنما يُقتل لكفره. قال: والحق قبول التوبة، فيقال للمرتد: إن رجعت إلى الإسلام وإلا قتلناك وللساحر والكاهن والساب لله أو لرسوله أو للإسلام أو للكتاب أو للسنة وللطاعن في الدين والزنديق قد كفرت بعد إسلامك، فإن رجعت إلى الإسلام وإلا قتلناك، فهذه هي الاستتابة. انتهى[2].

---

(١) انظر: المغني (١٢/٣٠٣).

(٢) نيل الأوطار (٧/٣٣٢)

٢٤- باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيّان بن العلاء، حدثنا قَطَن بن قَبيصة، عن أبيه أنه سمع رسولَ الله ﷺ قال : «إن العيافةَ والطَّرقَ والطِّيَرَةَ من الجبت» .

قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطَّرقُ : الخطُّ يُخطُّ بالأرض .

والجبتُ قال الحسن : رَنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه[1] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر، زاد ما زاد» . رواه أبوداود وإسناده صحيح[2] .

وللنسائي من حديث أبي هريرة : «من عَقَد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سَحَرَ، ومن سَحَرَ فقد أشرك، ومن تعلّق شيئاً وُكِل إليه»[3] .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «ألا هل أنبئكم ما العَضْهُ؟ هي النميمة، القالة بين الناس» . رواه مسلم[4] .

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٧)، وابن حبان (٧/ ٦٤٦)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص٣٨٧) رقم (٨٤٢) .

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣٩)، رقم (٣٣٠٥) .

(٣) رواه النسائي (٤٠٧٩)، وضعفه الألباني .

(٤) رواه مسلم (٢٦٠٦)، وأحمد (١/ ٤٣٧) .

ولهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إن من البيان لسحراً »[1] .

قوله : « باب بيان شيء من أنواع السحر » أي : كالعيافة والطرق والطيرة وعلم النجوم والنفث في العقد والنميمة والبلاغة.

قوله : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .قال عوف : العيافة : زجر الطير » أي : التفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها .

« والطرق : الخط يخط بالأرض » ومنه : الضرب بالحصى .

وأما الطيرة : فهي التشاؤم بالطير ونحوها، وسيأتي الكلام عليها قريباً إن شاء الله تعالى[2] .

قوله : « من الجبت » أي : من السحر .

قوله : « والجبت قال الحسن : رنة الشيطان » أي : صوته .

قوله : « ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه » وهو قوله : « إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ».

قوله : « من اقتبس » أي : تعلم شعبة من النجوم .

« فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » أي : كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم .

قال شيخ الإسلام : فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه :٦٩][3] .

---

(١) رواه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) .

(٢) في باب ما جاء في التطير رقم (٢٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/١٩٣) .

قوله : « وللنسائي من حديث أبي هريرة » أي : مرفوعاً .

« من عقد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه » أي : من تعلق قلبه شيئاً بحيث يعتمد عليه ويرجوه وكلّه الله إلى ذلك الشيء .

قوله : « ألا أنبئكم ما العَضْهُ ؟ هي النميمة القالة بين الناس » قال في « القاموس » : عَضَهَ : عَضْهاً كذَبَ، وسَحَرَ، ونَمّ وجاء بالإفك والبُهتان كأعضَهَ وفلاناً : بَهَتَهُ، وقال فيه ما لم يكن والعِضَةُ : الكَذِبُ والبُهتانُ والسِّحرُ، والعاضِهُ الساحر . انتهى ملخصاً [١] .

وقال في « النهاية » : « ألا أنبئكم ما العضه » هكذا يُروى في كتب الحديث . والذي جاء في كتب الغريب : « ألا أنبئكم ما العِضَة ؟ » بكسر العين وفتح الضاد .

وفي حديث آخر : « إياكم والعِضَةَ »[٢] . قال الخطابي : قال الزمخشري : أصلها العِضهَة، فِعلَة من العَضه، وهو البَهتُ، يقال : بينهم عِضَةٌ قبيحةٌ، من العَضِيهَة . انتهى[٣] .

وفي بعض الآثار : « يفسد الكذاب والنمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة »[٤] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروز أبادي باب الهاء فصل العين (ص/١٢٤٩-١٢٥٠) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ٩٩) .

(٣) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٣٠) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٩٥)، و أبو نعيم في الحلية (٣/ ٧٠) من رواية يحيى بن كثير وهو منسوب لبعض التابعين، وفي كل الروايات « شهر » بدل « سنة » .

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة[1].

وفيه: دليل على أنها من الكبائر.

قوله: «إن من البيان لسحراً» البيان: البلاغة والفصاحة.

قال صعصعة بن صوحان[2]: صدق نبي الله ﷺ فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق[3].

وقال عمر بن عبدالعزيز: لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه جوابه قال هذا والله السحر الحلال.

وقد قال الشاعر:

تقول هذا مجاج[4] النحل تمدحه   وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما   والحق قد يعتريه سوءُ تعبير

فإذا كان البيان في توضيح الحق وتقريره وتبيين الباطل وتزييفه فهو ممدوح، وإذا كان في ضد ذلك فهو مذموم. والله أعلم.

❀ ❀ ❀

---

(١) مراتب الإجماع (ص/١٥٦).
(٢) العبدي نزيل الكوفة، تابعي كبير مخضرم فصيح ثقة مات في خلافة معاوية، التقريب (ص/٢٧٦).
(٣) انظر: سنن أبي داود (٥/٢٧٨).
(٤) انظر لسان العرب (٢/٣٦٢).

٢٥- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه، لم تُقبَل له صلاةٌ أربعين يوماً»[١] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ » . رواه أبوداود[٢] .

وللأربعة، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عنه : « مَنْ أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كَفَر بما أُنزلَ على محمد ﷺ »[٣] .

ولأبي يعلى بسندٍ جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً[٤] .

وعن عمران بن حُصَين مرفوعاً : « ليس منا من تَطَيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفَر بما أُنزل على محمد ﷺ »[٥] رواه البزّار بإسناد جيد، ورواه

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣٠) .

(٢) رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٧٣٩) رقم (٣٣٠٤) .

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٨)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩) .

(٤) رواه أبو يعلى في المسند (٥٤٠٨)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ٢١٠)، والطبراني في الكبير (١٠٠٥)، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٧) : إسناده جيد .

(٥) رواه البزار في المسند (٣٠٤٤)، قال المنذري في الترغيب (٤/ ٣٣) : إسناده جيد، وقال الألباني : صحيح لغيره، انظر : صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٠)، رقم (٣٠٤١)

الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى .. » إلى آخره[١].

قال البغوي: العرَّافُ: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يُستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالَّة ونحو ذلك[٢]. وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبرُ عمّا في الضمير.

وقال أبوالعباس ابن تيمية: العرَّافُ اسمٌ للكاهن والمنجّم والرمّال ونحوهم، ممن يتكلّم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق[٣].

قوله: « باب ما جاء في الكهان ونحوهم » كالمنجم والرمال والعراف.

قوله: « عن بعض أزواج النبي ﷺ » هي حفصة رضي الله عنها.

قوله: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مُجزئةً بسقوط الفرض عنه[٤].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٠٢) رقم (٤٢٦٢)، والبزار في المسند (٣٠٤٣).
قال الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ١٧٠) رقم (٣٠٤١): صحيح لغيره.
وانظر: غاية المرام رقم (٢٨٩).

(٢) شرح السنة (١٢/ ١٨٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٩٨٠)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧): وفيه خالد بن يزيد العُمري وهو كذاب، انظر: فتح المجيد (٢/ ٤٩٧) تحقيق الدكتور الوليد الفريان.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (ص/ ١٣٩٢) ط. بيت الأفكار.

قولـه : « مـن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ رواه أبـوداود » ، قـال أبـوداود : بـاب ما جاء في الكهان حدثنا موسى ابن إسماعيل أخبرنا حماد ح وأخبرنا مسدد أخبرنا يحيى عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «من أتى كاهنـاً ـ قـال موسى : في حديثه ـ فصـدقه بما يقول أو أتى امرأة ـ قال مسـدد : امـرأته حائضـاً ـ أو أتى امرأة ـ قال مسدد ـ أمرأته في دبرها ـ فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » .

وفيه : وعيد شديد لمن فعل ذلك .

وفيه : النهي عن إتيان الكاهن ونحوه .

قـال القـرطبي : « يجـب عـلى من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يُقيم مـن يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق، ويُنكر عليهم أشدّ النكير، وعـلى مـن يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينتسب إلى العلم ؛ فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور » . انتهى [(١)]

وغالـب هذه الأفعال هي من استمتاع الإنس بالجن وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] .

قولـه : « وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق » أي : من نصيب.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٦٣٣) مع شيء من التصرف .

كتابة أبجد[1] لمن يدّعي بها علم الغيب هو الذي جاء فيه الوعيد . فأما تعلّمها للتهجي والحساب فلا بأس به .

قولـه : « وينظرون في النجوم » أي : ويعتقدون أن لها تأثيراً، كما سيأتي في بابه[2] إن شاء الله تعالى .

❀ ❀ ❀

(١) في فتح المجيد : أبي جاد .
(٢) في باب التنجيم .

٢٦- باب ما جاء في النُّشرة

عن جابر أن رسول الله ﷺ سُئل عن النُّشرة فقال : « هي من عمل الشيطان »[(١)] رواه أحمد بسند جيد، وأبوداود وقال: سُئل أحمدُ عنها فقال: ابنُ مسعود يكْرَهُ هذا كله .

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيِّب : رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤخَذُ عن امرأته، أيُحَلُّ عنه، أو يُنشَّرُ ؟ قال : لا بأسَ به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفعُ فلم يُنْهَ عنه . انتهى[(٢)] .

ورُوي عن الحسن أنه قال : لا يَحُلُّ السِّحر إلا ساحر[(٣)].

قال ابن القيم : «النُّشرة حَلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان : حَلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن، فيتقرَّب الناشر والمنتشرُ إلى الشيطان بما يحبّ، فيبطُلُ عملُه عن المسحور . والثاني : النُّشرة بالرُّقية والتعوّذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز».

قوله : « باب ما جاء في النُّشرة » أي : ما يباح منها وما يحرم .

قال ابن الجوزي : النشرة : حلُّ السحر عن المسحور . ولا يكاد يقدر

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود (٣٨٦٨)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٥١) وصححه الألباني .

(٢) رواه البخاري تعليقاً (١٠/ ٢٨٦) مع الفتح ، ووصله ابن جرير الطبري في التهذيب كما في تغليق التعليق (٥/ ٤٩) بإسناد صحيح ، وأبو بكر الأثرم في كتاب السنن كما قال ابن حجر .

(٣) رواه ابن جرير في التهذيب كما في فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)

عليه إلا من يعرفُ السحر[١] .

قولـه : « إن رسـول الله ﷺ سـئل عـن النشرة » أي : التي كـان أهل الجاهلية يصنعونها، فقال « هي من عمل الشيطان » .

وقولـه : « قال » أي : أبو داود .

« سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله » أي : يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان، كما يكره تعليق التمائم مطلقاً .

قولـه : « وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسيب : رجل به طب » أي : سحر .

« أو يُؤَخَّذ عن امرأته » أي : يُحبس عن جماعها .

« أيُحَلّ عنه أو يُنشَّر قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه » يعني : أن النُّشرة لا بأس بها، لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي : إزالة السحر، ولم يُنه عما يراد به الإصلاح، وهذا يحمل على ما لا يُعلم أنه سحر .

قولـه : « وروي عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر » أي : الحل الذي من عمل الشيطان .

وعن ليث بن أبي سُليم[٢] قال : بلغني أن هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، يقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٠٨) .

(٢) هو الليث بن أبي سُليم بن زُنيم ، صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين . التقريب رقم (٥٧٢١) .

سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [يونس :٨١-٨٢] ، وقولـه : ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝﴾ [الأعراف :١١٨-١٢٢] ، وقوله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1] [طه :٦٩] .

وقال ابن بطال : في « كتاب وهب بن منبه » أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل[2] ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله .

قال الحافظ : وممن صرح بجواز النشرة المزني صاحب الشافعي، وأبو جعفر الطبري وغيرهم[3]، ثم وقفت على صفة النشرة في كتاب « الطب النبوي »[4] لجعفر المستغفري، قال : وجدت في خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخاري قال قتادة لسعيد بن المسيب : رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أو ينشر؟ قال : لا بأس إنما يريد به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . قال نصوح : فسألني حماد بن شاكر : ما الحل وما النشرة ؟ فلم أعرفهما، فقال : هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٧٤)، انظر الدر المنثور (٧/ ٦٩٢) .

(٢) في فتح الباري : القواقل .

(٣) في فتح الباري وغيرهما .

(٤) مطبوع في النجف، عن المطبعة الحيدرية، سنة ١٩٦٥م . انظر : معجم المصنفات الواردة في فتح الباري (ص/ ٢٧٩) .

وفأساً ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة حتى إذا ما حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورود المغارة وورود البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماء عذباً ثم يغلي ذلك الورد في الماء غلياً يسيراً ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . انتهى[١] والله أعلم .



---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٨٧-٢٨٨)

٢٧- باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ ﴾ [يس: ١٩]. الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لا عدوى، ولا طِيَرة، ولا هامةَ، ولا صَفَرَ ». أخرجاه[(١)].

زاد مسلم: « ولا نوء، ولا غُول »[(٢)].

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « لا عدوى، ولا طِيَرة، ويعجبني الفألُ ». قالوا: وما الفأل؟ قال: « الكلمةُ الطيبة »[(٣)].

ولأبي داود بسند صحيح عن عُقبة بن عامر قال: ذُكرت الطِّيَرةُ عند رسول الله ﷺ فقال: « أحسنُها الفألُ، ولا تَرُدُّ مُسلماً، فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقل: اللهمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت، ولا حول ولا قوةَ إلا بك »[(٤)].

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً: « الطيرةُ شرك، الطيرة شرك، وما منا إلاَّ، ولكن اللهَ يذهبه بالتوكل »[(٥)] رواه أبو داود والترمذي

---

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم من رواية أبي هريرة ومن رواية جابر (٢٢٢٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) رواه أبو داود (٣٧١٩)، وضعفه الألباني.

(٥) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وأحمد (١/ ٣٨٩، ٤٤٠، ٤٣٨)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الألباني في غاية المرام (٣٠٣).

وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ولأحمد من حديث عبدالله بن عمرو : « مَنْ ردَّتْهُ الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : فما كفّارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إله غيرُك »[(1)].

وله من حديث الفضل بن العباس: «إنما الطيرةُ ما أمضاكَ أو ردَّكَ »[(2)].

قوله : « باب ما جاء في التطير » أي : من النهي عنه والوعيد فيه .

قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ » يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣١] أي : من قبل الله .

قال ابن عباس : ﴿ طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ ما قضى عليهم وقدر لهم .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذي أصابهم من الله، أي : إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ » يتبين معناها بذكر ما قبلها، ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢١٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦٥) .

(٢) رواه أحمد (١/ ٢١٣) ط. الرسالة، وإسناده ضعيف .

ﭐﻟۡﻤُﺮۡﺳَﻠُﻮﻥَ ﴿١٤﴾ ﻭَﻣَﺎ ﻋَﻠَﻴۡﻨَﺎٓ ﺇِﻟَّﺎ ٱﻟۡﺒَﻠَٰﻎُ ٱﻟۡﻤُﺒِﻴﻦُ ﴿١٧﴾ ﻗَﺎﻟُﻮٓﺍْ ﺇِﻧَّﺎ ﺗَﻄَﻴَّﺮۡﻧَﺎ ﺑِﻜُﻢۡۖ ﻟَﺌِﻦ ﻟَّﻢۡ ﺗَﻨﺘَﻬُﻮﺍْ ﻟَﻨَﺮۡﺟُﻤَﻨَّﻜُﻢۡ ﻭَﻟَﻴَﻤَﺴَّﻨَّﻜُﻢ ﻣِّﻨَّﺎ ﻋَﺬَﺍﺏٌ ﺃَﻟِﻴﻢٞ ﴿١٨﴾ ﻗَﺎﻟُﻮﺍْ ﻃَٰٓﺌِﺮُﻛُﻢ ﻣَّﻌَﻜُﻢۡ ﴾ تشاءمنا بكم .

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ يعني شؤمكم معكم بكفركم، أي : أصابكم الشؤم من قبلكم .

﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أي من أجل أنَّا ذكرناكم بالله وأمرناكم بتوحيده .

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ مشركون مجاوزون الحد .

ومناسبة الآيتين للترجمة : أن التطير من عمل أهل الجاهلية المشركين، وقد ذمهم الله تعالى ومقتهم .

قوله : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول » قال العلماء : وقوله : « لا عدوى » أي : على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال في آخر هذا الحديث : « وفر من المجذوم كما تفر من الأسد »[١] .

وقال : « لا يورد ممرض على مصح »[٢] .

وقال في الطاعون : « من سمع به في أرض فلا يقدم عليه »[٣] .

وكل ذلك بتقدير الله تعالى وقضائه .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٧) تعليقاً .

(٢) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١) .

(٣) رواه البخاري (٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨) .

والعبد مأمورٌ باتقاء أسباب الشر، والله سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات لا خالق غيرُه ولا مقدر سواه، وقد روى أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ: «أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «كل بسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه»[١] وهذا محمول على من قَوِيَ توكله، فإن أصابه شيء لم يقل لو أني لم أفعل لم يصبني.

وفي الحديث الآخر: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قَدَرُ الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٢].

قوله: «ولا طيرة» أي: لا تأثير لها فلا تصدكم.

قال الحافظ: وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير، طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك. انتهى[٣].

وكان بعض عقلاء الجاهلية ينكرون ذلك قال الشاعر:

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال[٤]

---

(١) رواه أبوداود (٣٩٢٥)، والترمذي (١٨١٨)، وقال: هذا حديث غريب، ورواه ابن ماجه (٣٥٤٢).

قال ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١٥٣): لا يثبت ولا يصح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص ...»

(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٦٢).

(٤) أورده ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢١٣).

قوله: « لا هامة » الهامة: البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أو أحداً من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: « ولا صفر » كان أهل الجاهلية يتشاءمون بشهر صفر فأبطل النبي ﷺ ذلك.

قوله: « ولا نوء ولا غول » النوء واحد الأنواء، أي: لا تأثير له وسيأتي الكلام على ذلك في بابه إن شاء الله تعالى.

والغول: واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، أي: لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه، وفي الحديث الآخر: «لا غول ولكن السعالي سحرة الجن »[1]، وفي الحديث الآخر: « إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان »[2] أي: ادفعوا شرها بذكر الله.

قوله: « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة » قال أبو السعادات: الفأل فيما يسرُّ ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر[3].

قوله: « ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا

---

(١) أخرجه الخطابي في غريب الحديث (١/ ٤٦٣) من مرسل الحسن بن محمد ابن الحنفية. انظر: تعليق زهير الشاويش على تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠٥، ٣٨١)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٥٤٨)، وأبو يعلى في المسند (٢٢١٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١٣): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٥).

ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك » قال النووي : الفأل يستعمل فيما يسوء وما يسر، وأكثره في السرور . والطيرة لا تكون إلا في الشؤم، وقد تستعمل مجازاً في السرور[١] .

قال الحافظ : وكان ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة[٢] .

قال ابن بطال : جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق، والماء الصافي، وإن كان لا يملكه ولا يشربه .

وأخرج الترمذي وصححه من حديث أنس أن النبي ﷺ « كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد »[٣] .

وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة « أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً يسأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه »[٤] .

قال الحليمي : وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[٥] .

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٦٥) .
(٢) المرجع السابق .
(٣) رواه الترمذي (١٥٤١) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح .
(٤) رواه أبو داود (٣٩٢٠) وصححه الألباني
(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٦٥) .

قوله : « وعن ابن مسعود مرفوعاً : الطيرة شرك الطيرة شرك » أي : لما فيها من تعلق القلب على غير الله .

قال في « شرح السنن » : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه[1] .

قوله : « وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل » هذا من قول ابن مسعود، أي : وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك .

« ولكن الله يذهبه بالتوكل » أي : لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا، وفي بعض الآثار : « ثلاث لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد . فإذا تطيرت فلا ترجع وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق »[2] .

قوله: « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا فما كفارة ذلك قال : أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك » .

وفيه : دليل على أنه إذا قال ذلك وتوكل على الله ومضى لم يضره ما وقع في قلبه .

---

(١) معالم السنن للخطابي (٤/ ١٣٤) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٢٨) رقم (٣٢٢٧) وقال الهيثمي : إسناده ضعيف فيه إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢١٣) هذا مرسل أو معضل لكن له شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في الشعب .

قال المناوي في فيض القدير : إسناده ضعيف، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٢٦) (٢٥٢٧) .

قوله : « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » هذا حد الطيرة المنهي عنها .

وعن عكرمة قال : كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر .

❀ ❀ ❀

٢٨- باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق اللهُ هذه النجومَ لثلاث: زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها . فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبَه، وتكلّف ما لا علمَ له به» . انتهى[(١)].

وكَرِه قتادةُ تعلّمَ منازلَ القمر . ولم يرخّص ابنُ عيينة فيه . ذكره حربٌ عنهما . ورخّص في تعلّم المنازل أحمد وإسحاق .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة : مدمنُ الخمر، وقاطعُ الرحم، ومصدّقٌ بالسحر » . رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه[(٢)] .

قوله : « باب ما جاء في التنجيم » قال شيخ الإسلام : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية[(٣)] .

قوله : « قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء، ورجوماً للشياطين » كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك :٥] .

قوله: «وعلامات يهتدى بها» كما قال تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل :١٦] وأخرجه الخطيب في « كتاب النجوم » عن قتادة ولفظه : قال :

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٩٥) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وابن حبان (١٣٨٠، ١٣٨١)، والحاكم (٤/ ١٤٦) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٤٦٣)

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢) .

« إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء، وجعلها علامات يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نفسه، وتكلف ما لا علم له به وإن أناساً جهلة بأمر الله، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر للنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير، والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة، وهذا الطائر بشيء، من هذا الغيب، ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء »[١] انتهى .

وعن رجاء بن حيوة[٢] أن النبي ﷺ قال : « إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة» رواه عبد بن حميد[٣].

قوله : «وكره قتادة تعلم منازل القمر» هي: (على الثمانية والعشرين[٤] المعروفة) .

« ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق » قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك كالمشاهدة، والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه[٥].

(١) القول في علم النجوم (ص/ ١٨٥ - ١٨٦) .
(٢) أبو المقدام الكندي الفلسطيني ، ثقة فقيه، توفي سنة ١١٢، التقريب (٢٠٨) .
(٣) رواه عبد بن حميد في التفسير كما في الدر المنثور (٨/ ٣١) .
(٤) في الأصل : العشرون والصواب ما أثبته .
(٥) معالم السنن (٤/ ٣٤٠) .

وقال غيره[1]: و المأذون في تعلمه التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره . وأما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور.

قوله : « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر » هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها، وقالوا : أمرُّوها كما جاءت .

قال الخطابي : علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث، التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها يدّعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه . انتهى[2] . والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) ابن رجب رحمه الله ، انظر : فضل علم السلف على علم الخلف (ص/١١). طبعة إدارة الطباعة المنيرية .
(٢) عون المعبود (١٠/ ٢٨٥) .

٢٩- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة :٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخرُ بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبلَ موتها تُقام يومَ القيامة وعليها سربالٌ من قطران، ودرعٌ من جَرَب». رواه مسلم[١].

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحُديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلمّا انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوءِ كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب»[٢].

ولهما من حديث ابن عباس معناه. وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوءُ كذا وكذا. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ إلى قوله ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة :٧٥-٨٢][٣].

قوله: «باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء» أي: من الوعيد، والمراد

---

(١) رواه مسلم (٩٣٤)، وأحمد (٣٤٢/٥، ٣٤٤).
(٢) رواه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨)، ومسلم (٧١).
(٣) رواه مسلم (٧٣).

نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمانٍ وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩].

يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا. وإنما سمي نوء، لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي: نهض وطلع[1].

قوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ أي: شكركم.

﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقولون: مطرنا بنجم كذا وكذا.

قوله: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن » أي: ستفعلها هذه الأمة، مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة.

« الفخر بالأحساب » أي: التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم.

« والطعن في الأنساب » أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص. ولما عير أبو ذر رضي الله عنه رجلاً بأمه، أي: قال له: يا ابن السوداء، قال له النبي ﷺ: « إنك امرؤ فيك جاهلية »[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) النهاية في غريب الحديث (١٢٢/٥).
(٢) رواه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

قوله: « والاستسقاء بالنجوم » أي: نسبة المطر إلى النوء، بقولهم: مطرنا بنجم كذا وكذا، فإن اعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهو شرك وكفر.

قوله: « والنياحة » أي: رفع الصوت بالندب على الميت؛ لأن ذلك تسخط بقضاء الله وقدره.

قوله: « والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »

فيه: وعيد شديد على من فعل ذلك.

وفيه: تنبيه على أن التوبة تكفر الذنوب.

قوله: « صلى لنا رسول الله ﷺ » أي: صلى بنا صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كان من الليل » أي: على أثر مطر، « فلما انصرف اقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ».

قال القرطبي: وكانت العرب إذا طلع نجمٌ من المشرق، وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطرٌ أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب، نسبة إيجادٍ واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك لئلا يعتقد أحدٌ اعتقادهم، ولا يتشبه بهم في نطقهم[١].

(١) المفهم (١/ ٢٦٠).

قوله : « ولهما من حديث ابن عباس » معناه ولفظه عن ابن عباس «قال : مُطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ». قالوا : هذه رحمة الله، وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة :٧٥]. انتهى .

قوله : « ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ » لا مزيدة لتأكيد القسم، قال ابن عباس : يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُفرقاً في السنين بعد[1].

وموقعها : نزولها شيئاً بعد شيء .

وقال جماعة من المفسرين : أراد مغايب النجوم ومساقطها[2] .

وقال الحسن : أراد إنكدارها وانتثارها يوم القيامة[3] .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ إنه: يعني هذا الكتاب ﴿ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ عزيز مكرم، لأنه كلام الله .

﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ مصون عند الله في اللوح المحفوظ .

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي : الملائكة، وفي الحديث : « لا يمس

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ١٩١، ٢٢/ ٣٥٩)، والحاكم (٢/ ٥٣٠) وعنه البيهقي في الشعب (٢٢٥٠) من طريق هشيم به.

(٢) انظر : الدر المنثور (١٤/ ٢١٨-٢١٩) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢/ ٣٦١)، و عزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير وعبد بن حميد

القرآن إلا طاهر»[1].

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي : القرآن منزل من عند الله .

﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ أي : القرآن .

﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ متهاونون مكذبون .

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

قال الحسن : خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به .

وقال جماعة من المفسرين معناه : وتجعلون شكركم أنكم تكذبون .

وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول شكركم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٣١٧) مرسلاً، والدارمي في السنن (٢٢٧٨)، والدارقطني (١/ ١٢١)، وقال : مرسل ورواته ثقات، والطبراني في الكبير (٣١٣٥)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨٥) . قال ابن حجر في التلخيص الحبير (١/ ١٣١) : إسناده لا بأس به .

والحديث كتبه رسول الله ﷺ إلى عامله عمرو بن حزم رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٩٧، ٢١٠، ٣٣٠) ط. الرسالة . قال محقق المسند : حسن لغيره ، ورواه الترمذي (٣٢٩١) وقال : حسن غريب .

٣٠- باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ - إلى قوله - أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». أخرجاه[1].

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكرهُ أن يُقذف في النار»[2]. وفي رواية: «لا يجدُ أحدٌ حلاوة الإيمان حتى...» إلى آخره[3].

وعن ابن عباس قال: «من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنالُ ولايةُ الله بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان - وإن كثرت صلاتُه وصومُه - حتى يكون كذلك، وقد صارت عامّةُ مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً». رواه ابن جرير[4].

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) رواه البخاري (١٦، ٢١، ١٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(٣) رواه البخاري (٦٠٤١).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٥٣)، والطبراني في الكبير (١٣٥٣٧)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩٠): وفيه ليث بن أبي سليم والأكثر على ضعفه. انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص ١١٣).

وقال ابنُ عباس في قوله: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦].
قال: المودة[1].

قوله: « باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] » أي: أمثالاً يعبدونهم معه يحبونهم كحب الله، يعظمونهم كتعظيمه.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ لأنه لا تنقطع محبتهم عن الله عز وجل بحال.

﴿ وَلَوْ يَرَى ﴾ ولو يعلم.

﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ باتخاذ الأنداد.

﴿ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ عاينوه يوم القيامة، لندموا أشد الندامة.

﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: لو يعلمون أن القدرة لله جميعاً، لا قدرة لأندادهم.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي: القادة ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: الأتباع.

﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: المودة.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ أي: ليت لنا رجعة إلى الدنيا.

﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من المتبوعين.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٢٧)، والحاكم (٢/ ٢٧٢) من حديث عيسى بن أبي عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس به وصححه الحاكم، انظر: الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص ١١٤)

﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ ندامات ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

قوله: « وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [التوبة: ٢٣] أصدقاء ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، بوضع الموالاة مكان المعاداة.

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم.

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها.

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ تستطيبونها.

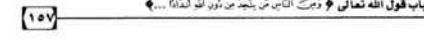
﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا حتى يأتي الله بأمره عقوبته العاجلة والآجلة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

قوله: « لا يؤمن أحدكم » أي: الإيمان الواجب.

« حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »، وفي البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: « والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » . فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال: « الآن يا عمر »[1]

---

(١) رواه البخاري (٦٦٣٢).



قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : فمن ادعى محبة النبي ﷺ بدون متابعته، وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب، كما قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور :٤٧][(١)] .

قوله: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

«حلاوة الإيمان» : طعمه، وهي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب، ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم .

قوله: « من أحب في الله » أي : أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك « وأبغض في الله » أي : أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته لأجل ما فعلوه .

« ووالى في الله وعادى في الله » أي : والى أهل طاعته وعادى أهل معصيته . « فإنما تنال ولاية الله بذلك »، وفي الحديث الآخر : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »[(٢)] .

قوله: « ولن يجد أحد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك» أي : حتى يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي في الله .

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦٠) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٧٢)، والصغير (٦٢٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٣٩) .

وفي حديث أبي أمامة مرفوعاً : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » رواه أبوداود[1] .

قوله : « وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً » أي : لا ينفعهم، قال الله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف :٦٧] .

قوله : « وقال ابن عباس في قوله : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾، قال : المودة » أي : التي كانت بينهم في الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها . والله المستعان .



(١) رواه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في الكبير (٧٦١٣)، (٧٧٣٧)، والترمذي (٢٥٢٣)، وقال : هذا حديث حسن، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني .

٣١- بـاب قـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ .

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية [التوبة :١٨] .

وقولـه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [العنكبوت :١٠] .

عـن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « إنّ من ضُعْفِ اليقين أن تُرضيَ الناس بسخط الله، وأن تحمدَهم على رزق الله، وأن تذمَّهم على ما لم يُؤتك الله، إن رزق الله لا يجرُّه حرصُ حريص، ولا يردُّهُ كراهيةُ كاره »[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ». رواه ابن حبان في صحيحه[(٢)].

قولـه : « بـاب قـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣)، قال صاحب فتح المجيد : وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال : ضعيف وفي إسناده أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء . وموسى بن بلال، قال الأزدي : ساقط .

وقال الألباني : موضوع. انظر : الضعيفة (١٤٨٢) .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٤٧) رقم (٢٧٦) من طريق الترمذي (٢٤١٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٨٨) .

تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] » يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾. قال ابن كثير: أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا سوَّل لكم وأوهمكم فتوكلوا عليَّ والجؤوا إليَّ، فإني[1] كافيكم وناصركم عليهم[2].

قوله: « وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ » يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ أي: ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية غيره.

﴿ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وعسى من الله واجب أي: فأولئك هم المهتدون، والمهتدون هم المتمسكون بطاعة الله عز وجل التي

(١) في التفسير: فأنا.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢).

تؤدي إلى الجنة .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا لـه بالإيمان، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ »[١].

قولـه : « وقولـه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ » قال ابن عباس : يعني: يرتد عن دينه إذا أوذي في الله[٢] .

قولـه : « إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله » أي : تؤثر رضاهم على رضا الله وأن تحمدهم على رزق الله أي : على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه، فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده .

ولا ينافي هذا الحديث : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »[٣]، وفي الحديث الآخر : «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعو الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه »[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٧) و(٣٠٩٣)، وابن ماجه (٨٠٢) والإمام أحمد (١٨/ ١٩٤، ٢٥١) و ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٠٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٦٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٨) عن محمد بن سعد به .

(٣) رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني .

(٤) رواه أبو داود (١٦٧٢) ، وصححه الألباني .

قولـه : « وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله »، لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فهو المتفرد بالعطاء والمنع، وهو المقدر لذلك، وما أحسن ما قال رجل وقد سأل رجلاً حاجة فقال : إن أعطيتها حمدت الله وشكرتك وإلا حمدت الله وعذرتك .

قولـه : « إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره » . كقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] .

قولـه : « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » هذا شاهد يعرفه كل أحد، قال بعضهم :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب[1]



(١) من كلام أبي فراس الحمداني . وذكره ابن القيم في المدارج (٢/ ٣٠١) .

٣٢ - باب قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال :٢].

وقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال :٦٤]. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : ٣] .

عن ابن عباس قال: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا لـه : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران :١٧٣]. رواه البخاري والنسائي[١] .

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة :٢٣] » أي : وعلى الله فتوكلوا لا على غيره .

قوله: « وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ » أي: الصادقون في إيمانهم .

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت وفرقت .

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ تصديقاً ويقيناً .

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي : يفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه .

قوله : «وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾» أي : كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين .

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٣، ٤٥٦٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٦)

قوله : « وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾» أي : كافيه .

قوله : «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار » أي : حين ألقاه قومه، فقال الله : ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

« وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي : كافينا فلا نتوكل إلا عليه .

وجاء في الحديث : « إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل »[(١)] .

وفي الحديث الآخر: « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا»[(٢)] .

❀ ❀ ❀

(١) رواه ابن مردويه في التفسير، ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤٨) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٧٢٩) .

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١٠/ ٥٤) رقم (١١٠١٦) ط. الرسالة بسند صحيح. ورواه أبو الشيخ في العظمة (٣٩٦) .

٣٣- باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، واليأسُ من رَوْح الله، والأمنُ من مكر الله»[١].

وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمنُ من مكر الله، والقُنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْح الله. رواه عبدالرزاق[٢].

قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]».

وقوله: «﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾» قصد المصنف - رحمه الله - التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك، وأن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء.

قال بعض العلماء: من عبدالله بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده

---

(١) رواه البزار في المسند (١٠٦)، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/١٧)، وحسنه الألباني أيضاً في صحيح الجامع (٤٤٧٩).

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (١٠/٤٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٨٣)، قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز (ص٤٣٨): ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح.

بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالحب والرجاء والخوف فهو مؤمن موحد .

قولـه : « أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال : « الشرك بالله » أي : هو أكبر الكبائر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] .

قولـه : « واليأس من روح الله » أي : قطع الرجاء والأمل من الله، فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة الظن بالله، وجهل به ويئس من رحمته .

قولـه : « والأمن من مكر الله » أي : من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك .

وليس المراد حصر الكبائر في هذه الثلاث وضابطها كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب فهو من الكبائر[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[٢] .

قولـه : « أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله » . القنوط : استبعاد الفرج، واليأس أشد منه، والله أعلم .



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٢) .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم (١٩١٩) .

٣٤- باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] .قال علقمة : هو الرجلُ تُصيبُه المصيبةُ فيعلمُ أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعنُ في النسب، والنياحةُ على الميّت »[١] .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس منا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوبَ، ودعا بدعوى الجاهلية »[٢] .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده الخيرَ عجّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة »[٣] . وقال النبي ﷺ : « إنَّ عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي[٤] .

قوله : « باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله »، قال الإمام أحمد:

---

(١) رواه مسلم (٦٧) .

(٢) رواه البخاري (١٢٩٤، ١٢٩٧، ٣٥١٩)، ومسلم (١٠٣) .

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٠)، وابن حبان (١/ ٢٧٨)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ٢٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨) .

(٤) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٦) .

ذكر الله تعالى الصبر في تسعين موضعاً من كتابه[1].

قوله: « وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ » وأول الآية ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئته وحكمته.

قوله: « قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم » وقال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يسترجع، يقول: إن لله وإنا إليه راجعون[2].

قوله: «اثنتان في الناس هما بهم كفر» أي: لأنهما من أعمال الجاهلية.

« الطعن في النسب » أي: عيبه.

« والنياحة على الميت » أي: رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائل الميت لما فيه من التسخط على القدر، المنافي للصبر، كقول النائحة: واعضُداه، واناصِراه، ونحو ذلك.

و فيه: دليل على أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

قوله: « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ».

وعند ابن ماجه وصححه ابن حبان عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ: « لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور »[3].

وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وأما البكاء بغير ندب ولا

---

(١) نقله ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ١٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٤).

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٨٤)، والطبراني في الكبير (٧٥٩١، ٧٧٧٥).

رفع صوت فجائز، وقد قال النبي ﷺ : حين مات ابنه إبراهيم : « تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »[1].

قوله : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا » أي : يكفر بها ذنوبه، ويرفع بها درجاته .

« وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه » أي : أخر عنه العقوبة .

« حتى يُوافي به يوم القيامة » أي : حتى يجيء بذنبه حامله يوم القيامة لم ينقص منه شيء .

قوله : « وقال النبي ﷺ : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء » أي : إذا عظم بلاء العبد عظم ثوابه إذا صبر واحتسب .

« وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم »، وفي الحديث الآخر : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل »[2].

قوله : « فمن رضي فله الرضا » أي : من الله تعالى، فإذا رضي عنه حصل له كل خير، وسلم من كل شر .

« ومن سَخِطَ فله السخط » أي : من سخط على قضاء الله وتدبيره، فله السخط من الله وكفى بذلك عقوبة، فالصبر على المصيبة واجب، والتسخط حرام، والرضا مستحب .

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٢)، وابن ماجه (٤٠٢٣) ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٤٣) .

قال شيخ الإسلام : « وأعلى من ذلك[1] أن يشكر الله على المصيبة؛ لما يرى من إنعام الله عليه بها »[2]. والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) أي من الرضا .
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٦٠) .

٣٥- باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

عن أبي هريرة مرفوعاً: « قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ». رواه مسلم[١].

وعن أبي سعيد مرفوعاً: « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال ؟ » قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « الشركُ الخفي؛ يقوم الرجلُ فيصلّي، فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد[٢].

قوله: « باب ما جاء في الرياء » أي: من النهي والتحذير. والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها ليحمدوه.

قوله: « وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ » أي: قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي علم الغيب، ولا أعلم إلا ما علمني الله، ولهذا قال: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: خصصت بالوحي، وتميزت به عنكم، وما أرسلني إليكم إلا لتوحدوه.

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ وهو ما كان موافقاً لشرع الله، وهو الخالص من الرياء المقيد بالسنة، كما قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٧).

عَمَلًا﴾ [الملك : ٢] قال الفضيل بن عياض(١) : أخلصه وأصوبه، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على سنة رسول الله(٢).

قوله : « ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ » وهذا يعم الأكبر والأصغر .

قوله : « قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري » أي : قصد به غيري من المخلوقين .

« تركته وشركه » ولابن ماجه : «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك»(٣) . وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء :١٤٢]، وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝﴾ [الماعون] .

قوله : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » سُمي هذا شركاً خفياً، لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره أو أشركه فيه بتزيين صلاته لأجله .

واعلم أن العمل لغير الله أقسام :

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام القدوة، ولد بسمرقند، كتب عن عطاء بن السائب والأعمش، وحدّث عنه ابن المبارك، ويحيى القطان، وعبدالرحمن بن مهدي وخلق، كان عابداً زاهداً . انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية (٢٢) .

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٥)، وابن خزيمة (٩٣٨)

فتارة يكون رياءً محضاً كحال المنافقين .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وأما إن كان أصل العمل لله ، ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان قد طرأ ثم دفعه فلا يضره .

وفي حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » . رواه مسلم[1] .

❀ ❀ ❀

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٤٢) .

٣٦- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [هود: ١٥-١٦].

في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعِس عبدُ الدينار، تعس عبدُ الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبدُ الخميلة، إن أُعطيَ رضي، وإن لم يُعطَ سَخِط، تعس وانتكَس وإذا شِيكَ فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثَ رأسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يُؤذن له، وإن شَفَعَ لم يُشفَّع»[1].

قوله: «باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا» هذا أعظم من الرياء، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذراً من هذا وهذا.

قوله: «وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾» أي: بعمله.

﴿يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ فقط.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ أي: بسعة الرزق، ودفع المكاره.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥).



﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ **فإنهم استوفوا جزاء أعمالهم، وبقيت عليهم الأوزار .**

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **لأنهم لم يعملوا بوجه صحيح .**

وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه»[1].

قوله : « تعس عبد الدينار » هذا دعاء عليه بالهلاك، سماه عبداً له لكونه هو المقصود بعمله .

« تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط »، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] فرضاؤهم لغير الله وسخطهم لغير الله .

« والخميصة » : ثوب خزٍّ أو صوف مُعلَّم .

« والخميلة » : ثوب له هدب من أي شيء كان .

قوله : « تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » وهذا دعاء عليه بنقيض قصده، وتعسير أمره .

قوله : « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله » أي : في جهاد المشركين .

وفي حديث أبي سعيد قال رجل يا رسول الله : وما طوبى؟ قال:

---

(١) رواه أبوعبدالرحمن السلمي في الأربعين عن ابن عمر كما في كنز العمال (٣٠١/١) ط. بيت الأفكار .

«شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تَخْرُجُ من أكمامها»[1].

قوله : «أشعث رأسه مغبرة قدماه» أي : أشغله الجهاد عن التنعم بالإدّهان وتسريح الشعر .

«إن كان في الحراسة» أي : حماية الجيش .

«كان في الحراسة» أي : غير مقصر فيها ولا غافل .

«وإن كان في الساقة كان في الساقة» أي : في مؤخرة الجيش، يُقلّب نفسه في مصالح الجهاد رغبة في ثواب الله، وطلباً لمرضاته .

«إن استأذن» أي : على الأمراء ونحوهم .

«لم يؤذن له» لأنه خامل الذكر لا جاه له عندهم .

«وإن شفع لم يُشَفَّع» أي : إن ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر لم تُقبل شفاعته عندهم .

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[2] .



(١) رواه أبو داود (٦٨) ، وابن حبان (٧٤١٣) ، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٢، ٢٨٥٤) والإمام أحمد في المسند (٣/ ١٢٨، ١٦٧، ٢٨٤) .

٣٧- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

وقال ابنُ عباس : « يُوشِكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ! أقول : قال رسول الله ﷺ، وتقولون : قال أبوبكر وعمر ؟ »[1] .

وقال الإمام أحمدُ بن حنبل: عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :٦٣] أتـدري ما الفتنة؟ الفتنةُ الشرك، لعلّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيغ فيهلك .

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة :٣١] الآية فقلت له : إنا لسنا نعبدهم، قال : « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ » . فقلت : بلى، قال : « فتلك عبادتهم » رواه أحمد والترمذي وحسنه[2].

قولـه : « باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً » من دون الله لقول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣١٢١)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٤٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)، وهو صحيح . انظر : الدر النضيد في تخريج كتاب التوحيد (ص١٢٩) .

(٢) رواه الترمذي (٣٠٩٥) وحسّنه، والإمام أحمد (٤/ ٢٥٧ ، ٣٧٨) والحديث صحيح .

﴿ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة :٣١] .

قوله : « وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر » هذا القول من ابن عباس جواب لمن قال له إن أبا بكر وعمر لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، والأحاديث في ذلك صريحة صحيحة، فلهذا قال ابن عباس لمن عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء » .

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ : « أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد »[١].

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : « ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر ﷺ »[٢].

قال الشارح في « فتح المجيد » : « فيجب الإنكارُ على من ترك الدليل لقول أحدٍ من العلماء، كائناً من كان . ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد والتي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة . فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الاجتهاد . وأما من[٣] خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه، كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد » . انتهى[٤].

(١) الرسالة (ص/ ٤٢٥)، وانظر : أعلام الموقعين (٤/ ٤٠) .
(٢) الجامع لابن عبدالبر (٢/ ٣٢) .
(٣) في الفتح : ما خالف
(٤) فتح المجيد (٢/ ٦٤٦)

قولـه : « وقال الإمام أحمد عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور :٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»، وفي رواية: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة : الكفر، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة :٢١٧] .

فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي، قال في « فتح المجيد » : « وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصاً ممن ينتسب إلى العلم نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن متابعة الرسول ﷺ، وتعظيم أمره ونهيه .

فمن ذلك قولهم : لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع، ويقول هذا الذي قلدته أعلم بالحديث وبناسخه ومنسوخه ، ونحو ذلك من الأقوال التي نهايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى » انتهى[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « التنبيه الذي سمع اختلاف العلماء وأدلتهم في الجملة عنده ما يعرف به رجحان القول وأكثر من يميز في العلم من المتوسطين إذا نظر وتأمل أدلة الفريقين بقصد حسن و نظر تام وترجح عنده أحدهما ، لكنه قد لا يثق بنظره بل يحتمل أن عنده ما لا يعرف جوابه، والواجب على مثل هذا موافقته القول الذي ترجح عنده بلا دعوى منه للاجتهاد .

(١) (٦٤٨/٢)

وقال : ومن كان متبعاً لإمام فخالفه في بعض المسائل لقوة الدليل أو لكون أحدهما أعلم وأتقى فقد أحسن » انتهى[١] .

وقد قال الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله . قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ . وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة[٢] .

وأخرج أبو داود بسنده عن أناس من أصحاب معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال : « كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء ؟» قال : أقضي بكتاب الله تعالى . قال: « فإن لم تجد في كتاب الله ؟» قال : بسنة رسول الله ﷺ . قال : « فإن لم تجد في سنة رسول الله، ولا في كتاب الله ؟ » قال : اجتهد رأيي ولا آلو . قال : « فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله »[٣] .

قوله :« عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآيـة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ الآية، فقلت : إنا لسنا نعبدهم، قال : أليس يحرمون ما

---

(١) الفتاوى الكبرى (٤/ ٦٢٥) .

(٢) إيقاظ أولي الهمم (ص ٥٠) للفلاني .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢)، وأبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، والدارمي (١/ ٦٠)، والحديث ضعفه طائفة من العلماء منهم : البخاري والدارقطني وابن حجر والألباني .

أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه، فقلت : بلى، قال : فتلك عبادتهم ».

فيه : دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة :٣١]، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام :١٢١].



٣٨- باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ الآيات.

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الآية [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح[(١)].

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود ـ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ـ فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [النساء: ٦٠][(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٦/١) رقم (١٥) ـ دار الصميعي ـ، وابن بطه في الإبانة الكبرى (٢٧٩)، وابن نصر المقدسي في كتاب الحجة ـ المختصر ـ رقم (٢٥)، وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٩٨٩١، ٩٨٩٢، ٩٨٩٣) وهو ضعيف لإرساله.

وقيل : نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال: نعم . فضربه بالسيف فقتله »[١] .

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [النساء:٦٠] الطاغوت ههنا : ما سوى كتاب الله وسنة رسوله من الباطل .

﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكون حالهم.

﴿ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ احتاجوا إليك في دفعها .

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ بسبب شؤم ذنوبهم .

﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ ﴾ حين يصابون للعذر منك .

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا ﴾ ما أردنا من تحاكمنا إلى غيرك .

﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ أي : إحساناً إلى خصومنا ، وتوفيقاً بين الخصمين، لا مخالفتك .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من النفاق .

---

(١) رواه الثعلبي كما في الدر المنثور (٥١٨/٤-٥١٩) وهو ضعيف جداً .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فلا تعنفهم .

﴿وَعِظْهُمْ﴾ انصحهم .

﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ أي : انصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ مخوف لهم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ فيما حكم، لا ليُطلب الحكم من غيره .

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي : بأمر الله .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ بمثل التحاكم إلى غيرك .

﴿ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا مزيدة لتأكيد القسم .

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ اختلف واختلط بينهم .

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ ضيقاً .

﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي : ينقادوا إلى الأمر انقياداً .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ » أي : المنافقين .

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بالكفر والمعصية وإظهار أسرار المؤمنين مع الكفار.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي : نحن على الهدى نداري الفريقين المؤمنين والكافرين ونصطلح معهم، ونريد الإصلاح بينهم وبين أهل الكتاب .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك .

قولـه : «وقولـه تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾» أي: لا تفسدوا فيها بالشرك والمعاصي، بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وتبيين الشرائع .

﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ من عقابه، وطمعاً في ثوابه .

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المطيعين لله في أمره ونهيه.

قولـه : « وقولـه تعـالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ » يـريدون وعن حكم الله يعدلـون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي : ومـن أعـدل من الله في حكمـه لـمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلم أن الله أحكم الحـاكمين، وأرحـم الـراحمين، فإنـه تعالى هو العالم بكل شيء العادل في كل شيء .

قولـه : « لا يؤمـن أحدكـم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال ابن رجب : معنى الحديث : أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعةً لماجاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحبُّ ما أمر به، ويكره ما نهى عنه[1] .

قولـه : « وقـال الشـعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة إلى آخره» .

فيـه : دليـل على أن بعض المنافقين يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان .

وفيه : دليـل على تحريم الرشوة في الحكم لأنها طريقة اليهود، وقد قال

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٥) تحقيق إبراهيم باجس .

الله تعالى فيهم : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة :٤٢] .

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة :٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :١٨٨] .

❦ ❦ ❦

٣٩- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٠] .

وفي صحيح البخاري قال عليٌّ : « حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه ؟ »[١] .

وروى عبدالرزاق عن مَعْمَر عن ابن طاوُس عن أبيه، عن ابن عباس : « أنه رأى رجلاً انتفض لَمَّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رقّة عند مُحكمه، ويهلكون عند متشابهه »[٢] . انتهى.

ولما سمعت قريشٌ رسولَ الله ﷺ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرعد : ٣٠][٣] .

قوله : « باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية » سبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو : يا الله يا رحمن . فرجع إلى المشركين، فقال : إن محمداً يدعو إلهين، يدعو الله، ويدعو إلهاً آخر يسمى الرحمن، ولا نعلم الرحمن إلا رحمن اليمامة، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا

---

(١) رواه البخاري (١٢٧) .

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٤٨٥)، وقال الألباني : إسناده صحيح .

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/١٠١) عن مجاهد مرسلاً وهو ضعيف.

الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء :١١٠] .

وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ : اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن ؟ قال الله تعالى : قل لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ اعتمدت ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ أي : توبتي ومرجعي .

قوله : « وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » سبب هذا القول والله أعلم ما حدث في خلافة علي رضي الله عنه من كثرة القُصَّاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف، فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح فأرشدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما ينفعهم في أصل دينهم، وأحكامهم من بيان الحلال والحرام، دون ما يُشغل عن ذلك، مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله .

قوله : « عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال : ما فَرَقُ هؤلاء» أي : ما خوفهم .«يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه».

قال عبدالله بن الإمام أحمد حدثني أبي حدثنا وكيع بحديث اسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله ابن خليفة عن عمر قال : « إذا جلس الرب على الكرسي»، فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها » أخرجه عبدالله في كتاب الرد على الجهمية[1] .

---

(١) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة (٥٨٧) (١ / ٣٠٢) .

ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في كلام الله ولا في كلام رسوله تشبيه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه وقولوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران :٧] »[1] .



(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥-٦) رقم (٣١٩٨) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي عن سند الحاكم : منقطع .

٤٠- باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل :٨٣] .

قال مجاهد ما معناه : هو قولُ الرجل : هذا مالي، ورثته عن آبائي .

وقال عون بن عبدالله : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قُتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبوالعباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: « أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر » الحديث، ـ وقد تقدم ـ : وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يذمُّ سبحانه من يُضيف إنعامه إلى غيره، ويشرك به.

قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريحُ طيبةً والملاّحُ حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير . [انتهى][١]

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ » وأنها منه .

﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بعبادتهم غيره، ويقولون : إنها بشفاعة آلهتنا .

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ الجاحدون عناداً .

وعن مجاهد أن رسول الله ﷺ قرأ على أعرابي أتاه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾. قال الأعرابي: نعم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ إلى آخر النعم، فقال : نعم، فلما بلغ ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ ولّى الأعرابي ، فأنزل الله ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) كذا في المخطوطة ، ولم أجدها في كثير من نسخ كتاب التوحيد المطبوعة .

ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١].

قولـه : « قـال مجـاهد مـا معنـاه : هـو قول الرجل هذا مالي ورثته عن أبـائي، وقـال عـون بـن عـبدالله : يقولـون لولا فلان لم يكن كذا » واختار المحققـون أن الآيـة تعـم مـا ذكـره المفسـرون، فالاعتـبار بعمـوم اللفـظ لا بخصوص السبب .

❀ ❀ ❀

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم وهو مرسل.

٤١- باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال ابن عباس في الآية: «الأندادُ هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله، وحياتِك يا فلان، وحياتي. وتقول: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللهُ وشئتَ. وقول الرجل: لولا اللهُ وفلان. لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك». رواه ابن أبي حاتم[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك». رواه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الحاكم[2].

وقال ابن مسعود: «لأن أحلِفَ بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً»[3].

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبوداود بسند صحيح[4].

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٢٣٠) وسنده حسن.

(٢) رواه الترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي ورواه أبو داود (٣٢٥١)، وابن حبان (٤٣٥٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٤٢).

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في الكبير (٨٩٠٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧).

بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

قولـه: « بـاب قـول الله تعـالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] »
الأنداد: جمع ند وهو المثل والنظير، أي: لا تعبدوا معه غيره.

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه لا مثل لـه، وأنه الخالق الرازق فهو المستحق للعبادة دون مـا سـواه، وسياق هـذه الآية في الشرك الأكبر وهي عامة في الأصغر والأكبر كما ذكره ابن عباس وغيره.

قولـه: « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ».

فيه: تحريم الحلف بغير الله.

قولـه: « وقـال ابـن مسـعود: لأن أحلـف بـالله كاذباً أحب إلي من أحلـف[1] بغيره صـادقاً » لأن الحلـف بغـير الله شرك، والحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر، والشرك بالله أعظم من كبائر الذنوب.

قولـه: « لا تقولـوا مـا شـاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » أي: لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه.

وتسوية المخلوق بالخالق شرك، إن كان في الأصغر - مثل هذا - فهو أصـغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر؛ كما قال تعالى عن المشركين ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [الشعراء].

قولـه: « وعـن إبراهيـم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبـك ويجـوز أن يقـول بـالله ثـم بك، قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا

---

(١) في الأصل: حلف، والصواب ما أثبته.

يقول : لولا الله وفلان » .

هذا إنما يجوز في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وأما الأموات فلا يقال ذلك في حقهم لا بالواو ولا بثم؛ لأنهم لا إحساس لهم بمن يدعوهم ويستعيذ بهم، ولا قدرة لهم على نفع و لا ضر .




٤٢ - باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن[(١)].

قوله: «باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله» أي: من الوعيد.

قوله: «لا تحلفوا بآبائكم» أي: لأنه شرك.

قوله: «من حلف بالله فليصدق» هذا مما أوجبه الله على عباده، وفي الحديث الآخر: «من اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه لقي الله وهو عليه غضبان»[(٢)] - وفي رواية - «فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»[(٣)].

قوله: «ومن حُلف له بالله فليرضَ ومن لم يرضَ فليس من الله».

فيه: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

ووعيد من لم يرضَ.



---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٣١)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٣) وأصله في الصحيح.

(٣) عند مسلم (٢١٨).

٤٣- باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء اللهُ وشئتَ، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئتَ. رواه النسائي وصححه[(١)]

وله - أيضاً - عن ابن عباس أنّ رَجُلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء اللهُ وشئت. فقال: «أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده»[(٢)].

ولابن ماجه، عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيتُ على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القومُ، لولا أنكم تقولون: عُزير ابنُ الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللهُ وشاء محمد. ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابنُ الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ، ثم أتيتُ النبي ﷺ فأخبرته قال: «هل أخبرت بها أحداً؟». قلت: نعم. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فإن طُفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا

(١) رواه النسائي في المجتبى (٣٧٧٣)، والإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٧١، ٣٧٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٦).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٩).

تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده »[1].

قولـه : « باب قول : ما شاء الله وشئت » أي : تحريم ذلك، لأنه شرك، وجواز قول : ما شاء الله ثم شئت .

قولـه : « أن يهودياً أتى إلى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت، وتقولون : والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت » .

فيه : قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان .

وفيه : النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله لأنه من الشرك، فأما من قال : يا كعبة الله ودعتك حجتي وأودعتني بخير، فهذا هو الشرك الأكبر، وهذا عبادة للبيت من دون الله، والعبادة لا تصلح إلا لله وحده، قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾ [قريش] .

قولـه : « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت، قال : اجعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده » .

فيه : أن من سوّى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله .

وفي هذا الحديث والذي بعده أمرهم بأن يقولوا : ما شاء الله وحده، وهذا أبعد عن الشرك، وأكمل في الإخلاص من أن يقولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان، مع أن ذلك جائز .

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١١٨)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٧٢، ٣٩٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠٠) .

٤٤- باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقــول الله تعــالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ الآية [الجاثية : ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يُؤذيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ، أُقلِّبُ الليلَ والنهارَ »[١].

وفي رواية : « لا تسبُّوا الدهرَ، فإن الله هو الدهر »[٢].

قوله: « باب من سب الدهر فقد آذى الله » أي: لأن الله هو المدبر له .

قولــه : « وقــول الله تعــالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ » أي : وقال منكروا البعث مـا الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: يموت قرن ويحيا قرن .

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ أي : ومـا يفنينـا إلا مـر الـزمان وطول العمر، واختلاف الليل والنهار .

﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أي : لم يقولوه عن علم علموه .

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي : يتوهمون ويتخيلون .

قولـه : « قال الله تعالى : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمـر أقلب الليل والنهار » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بـلاء أو نكبة، قـالوا : يـا خيبة الدهـر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١) .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٢٤٦) .

ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة .

قوله : « وفي رواية : « لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر » أي : هو المدبر له، يعني أن ما يجري فيه من خير أو شر فبإرادة الله وتدبيره بعلم منه وحكمة لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى .

❀ ❀ ❀



٤٥- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن أخنعَ اسم عند الله رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأملاك ، لا مَالِكَ إلا الله »[١].

قال سفيان : مثلُ شاهان شاه. وفي رواية : « أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثه »[٢].

قوله : « أخنع » : يعني أوضع .

قوله : « باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه » ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمِّي بقاضي القضاة، قياساً على ملك الأملاك، لكونه يُشبِهُهُ في المعنى فيُنهى عنه .

قوله : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله، قال سفيان : مثل شاهان شاه » أي : لأنه عند العجم عبارة عن ملك الأملاك .

وفيه : التحذير من التعاظم، فمن تكبر وضعه الله، ومن تواضع رفعه الله .

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) .

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣)، والإمام أحمد (٢/ ٣١٥) .

٤٦- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُرَيح أنه كان يُكنى أبا الحَكَم، فقال له النبي ﷺ: « إن الله هو الحَكَم، وإليه الحُكْمُ »، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمتُ بينهم، فرضيَ كلا الفريقين. فقال: « ما أحسن هذا، فمالك من الولد؟ ». قلت: شُريحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله. قال: « فمن أكبرهم؟ » قلت: شُرَيح. قال: « فأنت أبوشُريح ». رواه أبوداود وغيره[1].

قوله: « باب احترام أسماء الله تعالى » أي: عن التسمي بها « وتغيير الاسم لأجل ذلك ».

قوله: « عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال النبي ﷺ » أي: منكراً عليه « إن الله هو الحكم وإليه الحكم » أي: يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه، وفي الآخرة بعلمه.

« فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا » أي: الصلح بين الناس بالرضا والعدل.

« فمالك من الولد، قلت: شريح ومسلم وعبدالله، قال: فمَن أكبرهم، قلت: شُريح، قال: فأنت أبو شريح ».

فيه: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

---

(١) رواه أبوداود (٤٩٥٥)، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٣٦) رقم (٤١٤٥).

٤٧- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة :٦٥] .

عن ابن عمرَ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديثُ بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء، أرغبَ بُطوناً، ولا أكذبَ ألسُناً، ولا أجبنَ عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القُرّاء - فقال له عوف بن مالك : كذبتَ، ولكنّك منافق، لأخبرنّ رسولَ الله ﷺ . فذهب عوفٌ إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركبَ ناقته - فقال : يا رسول الله، إنما كنا نخوضُ ونتحدّثُ حديثَ الركب نقطعُ به عناء الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر إليه مُتَعَلِّقاً بنسعة ناقةِ رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؟ . ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه[1] .

قوله : « باب من هزل » أي : استهزأ .

« بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول » أي : فقد كفر .

---

(1) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (٦٩١١، ١٦٩١٢، ١٦٩١٤، ١٦٩١٦) وإسناده صحيح، انظر : الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي (ص١٢٢-١٢٣) .

قوله : « وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ » أي : المنافقين .

﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ لتوبتهم .

﴿ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء .

فيه : بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به[1] .

ويفيد الخوف من النفاق الأكبر والأصغر فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه .

وقال ابن أبي مُليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[2] . نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة .



(١) وهذا فيه رد على المرجئة .

(٢) رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة رقم (١٠٨١)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة رقم (٦٨٨) . والبخاري في الصحيح (١/١٠٩) تعليقاً . انظر : تعليق محقق فتح المجيد (٢/٧٢٣) .

٤٨- باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ الآية .

قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوقٌ به .

وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص : ٧٨] قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل .

وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف[1] .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكاً فأتى الأبرص فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليك ؟ قال : لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . قال : فمسحَه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال : الإبل ـ أو البقر (شك إسحاق) ـ فأعطي ناقة عُشراء، وقال : بارك اللهُ لك فيها . قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحبُّ إليك ؟ قال : شعرٌ حسن، ويذهبُ عني الذي قذرني الناس به . فمسحه فذهبَ عنه . وأعطي شعراً حسناً . فقال: أيُّ المال أحب إليك؟ قال: البقرُ ـ أو الإبل ـ فأُعطيَ بقرةً حاملاً، قال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١٢/٢٤) .

إليك ؟ قال : أن يردَّ الله إليَّ بصري فأُبصرَ به الناسَ، فمسحه، فردَّ الله إليه بصره. قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال : الغنمُ . فأُعطي شاةً والدًا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجلٌ مسكين قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك - بالذي أعطاك اللونَ الحسن والجلد الحسن والمال - بعيراً أتبلَّغ به في سفري، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرُك الناس، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما وَرِثتُ هذا المال كابراً عن كابر . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيَّرك اللهُ إلى ما كنتَ . قال : وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا . فقال : إن كنت كاذباً فصيَّرك اللهُ إلى ما كنت . قال : وأتى الأعمى في صورته فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليومَ إلا بالله ثم بك - أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك - شاةً أتبلَّغ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئتَ ودعْ ما شئت، فوالله لا أجهدُك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسكْ مالَك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك وسخطَ على صاحبيك » . أخرجاه [(١)] .

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ [فصلت : ٥٠] » الآية، يتبين معناها بذكر ما قبلها، قال

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٤، ٦٦٥٣) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

الله تعالى : ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ﴾ لا يمل، ﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ كالمال والصحة.

﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾ كالفقر والمرض .

﴿ فَيَـُٔوسٌ ﴾ من فضل الله ﴿ قَنُوطٌ ﴾ من رحمته .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ بتفريجها عنه .

﴿ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾ حقي وصل إلي .

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ إن قامت القيامة كما يزعمون .

﴿ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ الحالة الحسنى من النعمة، يتمنى على الله تعالى مع إساءة عمله .

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ نخبرهم بما عملوا أي : بحقيقة أعمالهم فيعلموا أنها تستوجب ندامة لا كرامة ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ » يتبين معناها بذكر ما قبلها، قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص :٧٦] أي : ممن آمن به، ثم نافق. ﴿ فَبَغَىٰ ﴾ تكبر ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ الجماعة الكثيرة .

﴿ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ﴾ بدنياك .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ الأشرين البطرين بالدنيا .

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ من المال .

﴿ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ بأن تصرفه في مرضاة الله .

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ كما في الحديث : «ليس لك من

مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»[1].

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ واشكره كما أنعم عليك.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلم والكبر والمعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: على علم وفضل عندي استحقه لذلك، ولولا معرفة الله بفضلي ورضاه ما أعطاني.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، فلا تدل كثرة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضا الله، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب.

ثم ذكر المصنف - رحمه الله تعالى - حديث الأقرع والأبرص والأعمى، والشاهد منه قول الأبرص والأقرع: «إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر».

قال ابن كثير - رحمه الله - في معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩]: يخبر أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله تعالى، وينيب إليه، ويدعوه، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، أي: لما يعلم الله [من] استحقاقي له، ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا.

---

(١) أصله في صحيح مسلم برقم (٥٢٥٨)، وهو عند الترمذي (٢٢٦٤)، و(٣٢٧٧)، والنسائي (٣٥٥٥)، وأحمد رقم (١٥٧١٥، ١٥٧١٦، ١٥٧٣٢، ١٥٧٣٦).

قال تعالى ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي : ليس الأمر كما زعم، بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي؟ . مع علمنا المتقدم بذلك[1] . انتهى . والله أعلم .

❀ ❀ ❀

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٥) .

٤٩- باب قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ الآية.

قال ابن حزم[(١)]: اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير الله، كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبدالمطلب[(٢)].

وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدمُ حملت، فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلنّ له قرني أَيِّل فيخرُجُ من بطنكِ فيشقه، ولأفعلنّ، ولأفعلنّ ـ يخوفهما ـ سمياه عبدَ الحارث. فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حُبُّ الولد، فسمَّياه عبد الحارث. فذلك قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩٠]. رواه ابن أبي حاتم[(٣)].

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً. وذكر معناه عن الحسن وسعيد

---

(١) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المحدث الفقيه الأصولي، ولد في قرطبة عام ٣٨٤، نشأ في أسرة ذات ثراء، وكان أبوه وزيراً فعاش في رغد من العيش، وكان شافعي المذهب ثم تحول إلى المذهب الظاهري، توفي عام ٤٥٦، وترك العديد من المؤلفات منها: «المحلى بالآثار» «وطوق الحمامة».

(٢) مراتب الإجماع (ص١٥٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير وسعيد بن منصور كما في الدر المنثور (٣/ ٦٢٤).
وسيأتي كلام ابن كثير رحمه الله في تضعيف هذا الأثر وأنه من آثار أهل الكتاب.

وغيرهما (١).

قولـه: «باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩٠]» أي: بتسميتهما عبد الحارث.

قولـه: «قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم عبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب» أي: لأن تسميته بهذا الأسم من عبودية الرق لا من عبودية الشرك كعبد المسيح، وعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد الحسين، ونحو ذلك فإن المطّلب أخا هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة بن هاشم قد نشأ في أخواله بني النجار، وبلغ سن التمييز عندهم فسافر به عمه المطلب إلى مكة فقدم به وهو رديفه فرآه أهل مكة قد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم.

قولـه: «وعن ابن عباس في الآية قال: لما تغشاها آدم حملت إلى آخره» يتبين معنى ذلك بذكر الآيات كلها قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ «يعني: من آدم.

﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواء.

﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ليأنس بها.

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ واقعها.

﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ استمرت به، وقامت وقعدت ولم يثقلها.

﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ أي: كبر الولد ودنت ولادتها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦).

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أي : بشراً سوياً مثلنا .

﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي : سميا ولدهما عبد الحارث، قال جمهور المفسرين : المراد بذلك آدم وحواء .

وقال الحسن : كان هذا في أهل الملل ولم يكن بآدم .

قال ابن كثير : وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم »[1] - إلى أن قال - : وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رحمه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

- ثم قال[2] - فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس[3] . والله أعلم .



(١) رواه الإمام أحمد (١٧٢٢٥) (٢٨/ ٤٦٠)، وإسناده حسن وله شاهد عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٤٤٨٥) .

(٢) قال في الهامش : لعله ثم قال : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فذكر إلى آخره .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨) .

٥٠- باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾ الآية .

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: يشركون .

وعنه : سمّوا اللاّت من الإله، والعُزّى من العزيز .

وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها[1].

قوله : «باب قوله الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف :١٨٠]» هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني، وليست منحصرة في التسعة والتسعين.

«﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾» من الإلحاد .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر »[2] .

وأخرجه الجرجاني[3] عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب بسنده، مثله .

وبعد قوله : « يحب الوتر هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) انظر الدر المنثور (٦/ ٦٨٩) .
(٢) رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) .
(٣) عن الترمذي

البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعزُّ، المذل، السميع، البصير، الحَكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المُجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الوليُّ، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفردُ، الصمد، القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخِّر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البَر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالكُ الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور »[١].

قوله: «ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون.

وعنه: سموا اللات من الإله.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٩) يراجع كتاب الدعوات وقال: هذا حديث غريب، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.
وورواه ابن ماجه (٣٨٦١) بسياق آخر.
وابن حبان في صحيحه (٨٠٨).
والحاكم في المستدرك (١/ ١٦)، والطبراني في الدعاء (١١١)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وهو ضعيف بسرد الأسماء.

وعنه : سموا اللات من الإله .

والعُزّى : من العزيز .

وعن الأعمش : « يدخلون فيها ما ليس منها » .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – :

وحقيقةُ الإلحاد فيها الميلُ بالـ ... إشراكِ والتعطيلِ والنُّكرانِ[١]

وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرَّف بها تعالى إلى عباده ودلت على كماله جل وعلا[٢].



(١) الكافية الشافية (ص/ ٢٥٣) . دار ابن خزيمة.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩) .

٥١- باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة. قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان. فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلامُ على الله، فإن الله هو السلام»[1].

قوله: «باب لا يقال: السلام على الله» أي: إن الله هو السلام ومنه السلام.

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر الله ثلاثاً، ويقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[2].

قوله: «لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام» أي: الذي سلم من جميع العيوب والنقائص، لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، وتمام الحديث: «ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) رواه مسلم (٥٩١).

٥٢- باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا يقولنّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مُكْرِهَ له»[١].

ولمسلم : «وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيءٌ أعطاه»[٢].

قوله : «باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت» يعني : أن ذلك لا يجوز، لورود النهي عنه .

قوله : «لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت فإن الله لا مكره له» أي: بخلاف المخلوق .

قوله: «ولمسلم» «فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» أي: ليعظم الرغبة في سؤاله ربه فإنه أهل المغفرة والكرم والجود والإحسان، وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ قال : «يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع»[٣].

وفي الحديث القدسي : «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان ما بلغت أمنيته

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٧٧) .

(٢) عند مسلم برقم (٢٦٧٩) . ورواه أحمد (٢/٣١٨) .

(٣) رواه البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣) .

ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر»[1].

❀ ❀ ❀

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

٥٣- باب لا يقول : عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقلْ أحدكم: أطعمْ ربَّك، وَضَّئ ربَّك، وليقل : سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي، وليقلْ : فتايَ وفتاتي وغلامي »[1].

هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغةً، فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد، وسداً لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو ربُّ العباد جميعهم .

وأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقامها . والله أعلم[2] .



---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩) .

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ : « وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول: عبدي وأمتي إلى فتاي وفتاتي؛ تحفظاً عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيد وليس حراماً وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التي لا توهم محذوراً بوجه، فإن الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص خصوصاً هذه الألفاظ التي هي أمسُّ بهذا المقام» اهـ القول السديد (ص/ ٤٨) .

٥٤- باب لا يُرَدُّ من سَأل بالله

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «من سأل بالله فأعطوه ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا لـه حتى تُرَوْا أنكم قد كافأتموه». رواه أبوداود والنسائي بسند صحيح[١] .

ظاهر الحديث أنه لا يرد من سأل بالله، فمن سأل ما له فيه حق وجب إعطاؤه، ويستحب إذا لم يكن له حق .

قولـه : « ومن دعاكم فأجيبوه » هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض .

« ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه » أي : بالمال أوالثناء، إذا لم يجد مالاً يكافئه بـه، ولهذا قال: «فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تُرَوْا» أي : تعلموا أنكم قد كافأتموه، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافيء على الإحسان إساءة نعوذ بالله من ذلك .

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه أبـو دواد (١٧٦٣)، والنسائي في المجتبى (٥/ ٨٢)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤) .

٥٥- باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه أبوداود[1] .

قوله: « باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » أي: لأنها غاية المطالب .

وكذلك الاستعاذة به مما يبعده منها، كما في الحديث الآخر: « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي سخطك »[2] .



---

(١) رواه أبوداود (١٦٧١)، وضعف إسناده الألباني، انظر: رياض الصالحين بتخريج الألباني (ص ٥٨٦) طبعة المكتب الإسلامي .

(٢) رواه مسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها ورواه الطبراني في كتاب الدعاء رقم (١٠٣٦)، وأصله في البخاري (٣٢٣١) .

٥٦- باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران :١٦٨] الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزنْ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل : قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1] .

قوله : « باب ما جاء في اللو » أي : من النهي عن ذلك، إذا كان في معارضة القدر فهو مذموم، و أما تمني الخير فلا بأس به كقوله : لو أن لي مالاً مثل ما لفلان لعملت فيه مثل عمله .

قوله : « وقول الله عز وجل : ﴿ يَقُولُونَ - أي المنافقون يوم أحد - لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ أي : هذا أمر قدره الله عز وجل لا محيد عنه .

قوله: « وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ » أي : لو سمعوا منا مشورتنا عليهم بالقعود، وعدم الخروج إلى أحد ما قتلوا مع من قتل، قال الله تعالى : ﴿ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

قولـه : « احرص على ما ينفعك » الحديث، وأوله : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك » أي : في معاشك ومعادك .

« واستعن بالله ولا تعجزن » أي : افعل الأسباب وتوكل على الله .

« وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قَدَرُ الله » أي : هذا قَدَرُ الله .

« وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان » لما فيها من التأسف على ما فات والتحسُّر ولوم القدر، وقد قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد] .

❀ ❀ ❀

٥٧ - باب النهي عن سب الريح

عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا الريحَ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمِرَت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمِرت به». صححه الترمذي[1].

قوله: «باب النهي عن سب الريح» أي: لأنها إنما تهب بأمر الله تعالى، فإذا رأى ما يكره فليقل ما أرشد إليه النبي ﷺ[2].

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٥٣)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٦).

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله -: «ومع تحريمه - يعني سب الريح - فإنه حمق وضعف في العقل والرأي، فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره، فالسابُّ لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالباً لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم». اهـ من القول السديد (ص/ ٥٠).

٥٨- باب قول الله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية [الفتح :٦].

قال ابنُ القيِّم في الآية الأولى : « فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسولَه، وأن أمرَه سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر ؛ وإنكار أن يتمّ أمرُ رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كلّه . وهذا هو ظنُّ السوء الذي ظنّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح .

وإنما كان هذا ظنّ السوء لأنه ظنُّ غير ما يليقُ به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظنّ أنه يُديلُ الباطلَ على الحق إدالةً مستقرة يضمحلُّ معها الحقُّ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدَرُه بحكمةٍ بالغةٍ يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجرّدة، فذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنون بالله ظنّ السّوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسلَم من ذلك إلا من عَرَفَ اللهَ وأسماءَه وصفاته وموجبَ حكمته وحمده، فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظنَّ السّوء، ولو فتشتَ من فتشت لرأيتَ عنده تعنُّتاً على القدر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقلٌّ

ومستكثر، وفتش نفسك ؛ هل أنت سالم ؟

فإنْ تَنْجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ   وإلاّ فإني لا إخالُك ناجيا »[1]

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران :١٥٤] » الآية.

وأولها: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ﴾ وهم المؤمنون حقاً، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ بطلب خلاصها وهم المنافقون.

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي : يظنون أنه ما بقي من أمر محمد ﷺ شيء.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أي : ما بقي لنا من النصر والغلبة شيء.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ النصر والظفر والقضاء والقدر.

﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم ﴾ من النفاق .

﴿مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾أي : يقول بعض المنافقين لبعض، لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة، ولم يقتل رؤساؤنا .

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ليمتحنكم، ويظهر سرائركم من الأخلاص وعدمه.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ يكشفه ويميزه .

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢٨-٢٣٦) ، والبيت للفرزدق

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بما في القلوب من خير وشر .

قوله : « وقوله تعالى : ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ الآية، وأولها : ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ يظنون أن لن ينصر الموحدين .

﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ ﴾ أي : عليهم خاصة ما يظنون بالمؤمنين .

﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴾ .

قوله : « قال ابن القيم : في الآية الأولى ... » كلام ابن القيم المذكور ملخص من كلامه على ما تضمنته وقعة أحد . والله أعلم .

❀ ❀ ❀

٥٩- باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابنُ عمر : والذي نفس ابن عمرَ بيده؛ لو كان لأحدهم مثلُ أُحُدٍ ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبِلَه اللهُ منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره » . رواه مسلم[١].

وعن عُبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بني، إنك لن تجد طعمَ الإيمان حتى تعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلق اللهُ القلمَ، فقال له : اكتب. فقال : ربِّ وماذا أكتب؟ قال : اكتُب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ مات على غير هذا فليس مني » وفي رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله تعالى القلمَ فقال له : اكتُب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة » .

وفي رواية لابن وهب : قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يُؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه اللهُ بالنار »[٢] .

وفي المسند والسنن عن ابن الدَّيلمي قال : أتيتُ أُبيَّ بن كعب فقلت : في نفسي شيءٌ من القدر، فحدِّثني بشيءٍ لعلَّ الله يُذهبُه من قلبي . فقال : لو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما قَبِله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولو مُت على غير

(١) رواه مسلم (٨)، وأبوداود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٣) .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١١١)، وصححه الألباني .

هذا لكنتَ من أهل النار . قال : فأتيتُ عبدالله بن مسعود وحُذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلُّهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ . حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه[1] .

قوله : « باب ما جاء في منكري القدر » أي : من الوعيد الشديد .

وروى أبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »[2].

قوله : « وقال عبدالله بن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده » الحديث، وأوله : عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحميري حاجّيْن، أو مُعتمرين، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فَوُفّق لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكلُ الكلام إليَّ، فقلت : أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قِبلنا أناسٌ يقرؤن القرآن، و يتقفّرون العلم، يزعمون أن لا قَدَر

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩)، وأبوداود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، قال الألباني : صحيح، انظر : صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٩٠) رقم (٣٩٣٢) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩١) .

وعبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة رقم (٩١٥)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٣٣٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١١٥٠) .

وأن الأمر أُنفٌ . فقال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريءٌ، وأنهم مني بُرآءٌ، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثلَ أحُد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر .

ثم قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب» . الحديث .

قوله : « وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يابني » الحديث رواه أبوداود، ورواه الإمام أحمد ولفظه عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال : اجلسوني . فقال : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ،حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت : يا ابتاه كيف أعلم ما خيرالقدر وشره ؟ .

قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»، يا بني إن مت ولستَ على ذلك دخلت النار[(١)] .

قال الإمام أحمد : القدر قدرة الرحمن[(٢)] .

وقال بعض السلف : ناظروهم – أي القدرية – بالعلم فإن أقرُّوا به خُصِموا وإن جحدوه كفروا[(٣)] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم (١٠٧) .
(٢) أخرجه ابن هانئ في المسائل رقم (١٨٦٨) .
(٣) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٧٥) عن عمر بن عبدالعزيز .

قوله : « وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال : لو أنفقت مثل أحُدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لكنت من أهل النار، قال فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ، زاد أبو داود وفي أوله : « لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر» . الحديث .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » رواه مسلم[1].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعدُه من النار ومقعدُه من الجنة » قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال : « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسره لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فييسره لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ : ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ ﴾ [الليل] » . الآية متفق عليه[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣) .

(٢) رواه البخاري (٦٥ ، ١٢٠) ومسلم (٤٩)

٦٠- باب ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومَنْ أظلمُ ممن ذهبَ يخلق كخلقي، فليخلُقوا ذرّة، أو ليخلُقوا حبَّة، أو ليخلقوا شعيرةً» أخرجاه[1].

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عذاباً يومَ القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله»[2].

ولهما عن ابن عباس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذّب بها في جهنم»[3].

ولهما عنه مرفوعاً: «مَنْ صوَّر صورةً في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»[4].

ولمسلم عن أبي الهيّاج قال: قال لي عليٌّ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: ألا تدعَ صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته»[5].

• قوله: «باب ما جاء في المصوِّرين» أي: من عظيم عقوبة الله لهم، وعذابه كما في هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٥، ٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٤) رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٥) رواه مسلم (٩٦٩)، وأبوداود (٣٢١٨)، والترمذي (١٠٤٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » رواه البخاري[1] .

قال القرطبي : إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة، لأن متخذها قد تشبَّه بالكفار، لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم، ويعظمونها، فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراً له لذلك[2] .

قال النووي[3] : قال العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام، وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره[4] فصنعته حرام بكل حال، سواء كان في ثوب، أو بساط، أو درهم، أو دينار، أو فلس، أو إناء، أو حائط أو غيرها، فأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام .

قال : وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل، وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقاً وهو مذهب باطل، فإن الستر الذي أنكره النبي ﷺ كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك، ومع ذلك أمر بنزعه[5] . انتهى .

قال الحافظ : والمذهب المذكور مرجوح .

وقال ابن العربي : الصورة إذا كان لها ظل حرم اتخاذها بالإجماع، سواء

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦) .
(٢) المفهم (٥/٤٢١-٤٢٢) .
(٣) في هذا الموضع تقديم وتأخير أشار إليه الشيخ بإستدراكه .
(٤) في المنهاج : أو بغيره .
(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص/١٣٢٩) .

كانت مما يمتهن أم لا"(١).

قال الحافظ : لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منحوتة، أو منسوجة خلافاً لمن استثنى النسج، وادعى أنه ليس بتصوير، ونقل الرافعي عن الجمهور : أن الصورة إذا قُطع رأسها ارتفع المانع(٢).

قوله : « ولمسلم عن أبي الهياج قال قال لي علي رضي الله عنه : «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» .

فيه : وجوب طمس الصور لمضاهاتها لخلق الله .

ووجوب تسوية القبور لما في تعليتها من الفتنة بأصحابها، وتعظيمها، وذلك من ذرائع الشرك ووسائله . والله المستعان .



(١) فتح الباري (١٠/٤٧٦) .
(٢) انظر : فتح الباري (١٠/٤٧٦-٤٧٧) .

٦١- باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلِف مَنْفَقَةٌ للسلعة، مَمْحَقَةٌ للكسب». أخرجاه[1].

وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم اللهُ ولا يُزكيهم ولهم عذابٌ أليم: أُشيمطٌ زانٍ، وعائل مستكبر، ورجلٌ جعل اللهَ بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه». رواه الطبراني بسند صحيح[2].

وفي الصحيح عن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أذكَرَ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً، «ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ»[3].

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه، ويمينُه

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦١١١)، والصغير (٢/ ٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٢).

(٣) رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠).

شهادته »[1] .

وقال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

قولـه : « بـاب مـا جـاء في كثرة الحلف » أي : من النهي عنه، والوعيد عليه .

قولـه : « وقول الله تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ » قال ابن عباس : لا تحلفوا .

قولـه : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » أي : البركة .

قولـه: « ثلاثة لا يكـلمهم الله ولا يزكيهم ولهـم عـذاب أليم » لعظم ذنبهم .

« أشيمطٌ زانٍ » صغره تحقيراً لـه، وفي رواية « شيخ زان »[2] . و الزنا حرام مـن الشـاب والأشـمـط، لكنه من الكبير أقبح لأن داعي المعصية فيه ضعيف، فدل على أن الحامل له على الزنا محبته، وعدم الخوف من الله .

« وعـائل مسـتكبر » العائل الفقير، والكبر حرام من الغني والفقير، لكنه من الفقير أقبح لعدم الداعي إليه، فدل على أن الكِبْر كامن في قلبه .

« ورجـل جعـل اللهَ بضـاعته » يعني دائم الحلف بالله، لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه .

قولـه : « خـير أمـتي قـرني ثـم الذيـن يلونهم ثم الذين يلونهم » أي : الصحابة ثـم الـتابعون ثم تابعوا التابعين، قال عمران : فلا أدري أذكَر بعد

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) .

(٢) عند الطبراني في الأوسط (٨٣٩٦) (٩/ ١٨٤) .

قرنه مرتين أو ثلاثاً .

«ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السِّمَنُ» أي : لرغبتهم في الدنيا، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة، والعمل لها .

قوله : «ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» أي : لخفة ذلك عندهم فلا يتثبتون في شهاداتهم ولا يصدقون في أيمانهم .

قوله : «قال إبراهيم - أي النخعي - : كانوا يضربوننا على الشهادة، والعهد ونحن صغار» .

فيه : تمرين الصغار على طاعة الله، ونهيهم وتأديبهم . والله الموفق .



٦٢- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآية [النحل :٩١].

عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتَ عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهلَ حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيِّه، فلا تجعل لهم ذمةَ الله وذمة نبيِّه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيِّه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم على حكم الله فلا تُنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حُكمِك، فإنك لا

تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ». [رواه مسلم][(١)].

قوله : « باب ما جاء في ذمة الله وذمة رسوله وقول الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل :٩١] » هذا عام في كل عهد وميثاق .

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد لمن نقض ونكث .

قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً» أي: وأوصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً من الرفق والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم .

قوله : « اغزوا بسم الله » أي : مستعينين بالله .

« قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً » الغدر: نقض العهد، والتمثيل : التشويه بالقتيل كقطع أنفه ونحو ذلك .

« وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال – شك من الراوي – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » أي : فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم .

قوله : « ثم ادعهم إلى الإسلام » في رواية أبي داود : « وادعهم إلى الإسلام »[(٢)].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٧٣١)، وأحمد (٥/ ٣٥٢، ٣٥٨)، وما بين المعقوفين ليست في المخطوطة أضفتها من النسخ المطبوعة لكتاب التوحيد .

(٢) رقم (٢٦١٣) .

قولـه : « ثـم ادعهـم إلى التحول مـن دارهـم إلى دار المهاجرين » يعني المدينـة، وكـان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام .

قولـه : «فإن هم أبوا فاسألهم الجزية» أي: إن أبى الكفار أن يسلموا .

قولـه: « فإن أبوا » أي : عن الجزية .

« فاستعن بـالله وقاتـلهم » اتفـق العـلماء عـلى قبول الجزية من اليهود والنصارى، واختلفوا في غيرهم .

قولـه : « وإذا حاصـرت أهـل حصـن فـأرادوك أن تجعـل لهـم ذمة الله وذمـة نبيـه فـلا تجعـل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصـحابك » الذمـة : العهـد، ومعنـاه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفـاء بـالعهد فكأنـه يقـول: إن وقع نقض من معتد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى . والله أعلم .

قولـه : « وإذا حاصـرت أهـل حصـن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فـلا تـنزلهم عـلى حكـم الله، ولكـن أنـزلهم عـلى حكمـك فإنك لا تدري أتصيب فـيهم حكـم الله أم لا » هـذا الـنهي وكـذا الـذي قبـله على التنزيه والاحتياط .

وفـيه : حجـة لمـن يقـول : ليس كل مجتهد مصيباً، بل المصيب واحد[1]، وهو الموافق لحكم الله تعالى في نفس الأمر . والله اعلم .

---

(١) قـال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد (٢/ ٨٢٣) : وهو المعروف من مذهـب مالك وغيره .

٦٣- باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جُندب بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: « قال رجلٌ: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: مَنْ ذا الذي يتألّى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرتُ له وأحبطتُ عملك ». رواه مسلم[١].

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجلٌ عابد. قال أبوهريرة: تكلّم بكلمةٍ أوبَقَتْ دنياه وآخرتَه[٢].

قوله: « باب ما جاء في الإقسام على الله » أي: الحلف، والتألّي عليه.

قوله: « من الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك ».

« وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد »، حديث أبي هريرة رواه أبو داود ولفظه: « كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر يجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبُعِثت علي رقيباً، قال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة، فقُبِضت أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار ».

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٢١).

(٢) رواه أبوداود (٤٩٠١)، وأحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣)، وصححه الألباني.

قولــه : « قــال أبــو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته » هي قول المجتهد : والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة أبداً .

وفيـه : بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرز من الكلام السيء كما في الحديث الآخر : « وإن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب »[1] .

وفي حديث معاذ : « هـل يَكُبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »[2]. والله أعلم



(١) رواه الترمذي (٢٦١٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٧٣) . انظر : إرواء الغليل (٤١٣) .

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٢)، وصححه ووافقه الذهبي .

٦٤- باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله نُهِكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله» فما زال يسبِّحُ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي ﷺ: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظمُ من ذلك، إنه لا يُستشفعُ بالله على أحدٍ من خلقه». وذكر الحديث. رواه أبوداود[1].

قوله: «باب لا يستشفع بالله على خلقه» أي: لأنه الخالق المالك، فالخلق كلهم عبيد له ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

فأنكر ﷺ قول الأعرابي: إنا نستشفع بالله عليك.

وأما الاستشفاع بالخلق على الله فالمراد به طلب دعائهم، والمراد بالأحياء منهم كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قم يا عباس فادعُ الله»[2].

قوله: «عن جبير بن مطعم قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ» الحديث، رواه أبو داود بتمامه عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتى النبي ﷺ أعرابي قال: جهدت الأنفس وضاع العيال،

---

(١) رواه أبوداود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة (١٤٧)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري (١٠١٠) و(٣٧١٠).

ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله، فقال النبي ﷺ : « ويحك أتدري ما تقول ؟، وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله ؟، إن عرشه على سمواته هكذا، وقال بإصبعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب » .

قال ابن يسار [١] في حديثه: «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته».

قال الحافظ الذهبي : رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار[٢] .

وفي هذا الحديث : اثبات علو الله على خلقه .

و أن عرشه فوق سمواته .

وفيه : تفسير الاستواء بالعلو، كما فسره الصحابة والتابعون، وأئمة السلف، فإنهم اثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

❀ ❀ ❀

---

(١) في المخطوط : بشار . والصواب ما أثبته، كما في فتح المجيد (٢/ ٨٣٠) وهو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي، مولاهم صدوق يدلس ، توفي سنة ١٥٠ (تقريب) (٤٦٧) . انظر : تعليق المحقق .

(٢) انظر : العلو للذهبي (١/ ٤٠٤-٤١٦) .

٦٥- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبدالله بن الشِّخِّير قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا . فقال : « السيد اللهُ تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلُنا فضلاً، وأعظمُنا طَوْلاً . فقال : « قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان » . رواه أبوداود بسند جيد[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا : يا رسول الله، يا خيرنا وابنَ خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » رواه النسائي بسند جيد[2].

قوله : « باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد » أي : عما يشوبه من الأقوال والأعمال .

« وسده طرق الشرك » الموصلة إليه كالإطراء ونحوه .

قوله : « السيد الله تبارك وتعالى » أي : السؤدد حقيقة لله عز وجل، لأن الخلق كلهم عبيد له .

---

(١) رواه أبوداود (٤٨٠٦)، وأحمد (٤/ ٢٤، ٢٥)، قال الألباني : صحيح. انظر : صحيح الجامع (٣٧٠٠) .

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٨، ٢٤٩)، وأحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ٤٦)، والترمذي (٣١٤٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) .

والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية، صار يكره أن يُمدح صيانة لهذا المقام. وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نُصحاً لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه، من الشرك ووسائله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة :١٦٢].



٦٦- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية [الزمر: ٦٧]. أخرجاه.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزُّهُنَّ فيقول: أنا الملك، أنا الله». وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه[1].

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[2].

ورُوِيَ عن ابن عباس قال: ما السماواتُ السبع والأرضون السبع في كفِّ الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/١٧). وهو ضعيف، انظر: العلو للذهبي (ص٩١).

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس ». قال: وقال أبوذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ من حديد ألقيت بين ظهري فلاةٍ من الأرض »[١].

وعن ابن مسعود قال: « بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم ». أخرجه ابن مهدي عن حمّاد بن سلمة عن عاصم عن زرّ عن عبدالله[٢]. ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: « بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه

(١) تقدم تخريجه (ص٩٢).
(٢)تقدم تخريجه (ص٩٢).

شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره[1].

قوله : « باب قول الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ » أي : ما عظموه حق عظمته، حيث عبدوا معه غيره، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله : « إن الله يجعل السماوات على إصبع » إلى آخره مذهب السلف إمرار هذه الأحاديث كما جاءت من غير تكييف، ولا تحريف.

قال في « فتح المجيد » : « هذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرّف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته.

وكلها تدل على كماله وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإلهيته. وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان »[2].

قوله : « والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ، وكلام الصحابة، والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما

---

(١) رواه أبوداود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب. ورواه ابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (ص ١٠٤).

(٢) فتح المجيد (٢/ ٨٤٧).

هو نص، أو ظاهر : أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه »[١]. انتهى .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] قالت : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. رواه الحافظ الذهبي في كتاب العلو[٢].

وقال مالك : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

وقال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: علا على العرش[٤].

وقال إسحاق بن راهوية : سمعت غير واحد من المفسرين يقول : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أي : ارتفع[٥].

وقال ابن جرير في قول تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أي : علا وارتفع[٦].

وقال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٢) .
(٢) رواه الذهبي في كتاب العلو رقم (٦٥) .
(٣) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، والصابوني في عقيدة السلف (٢٤، ٢٥، ٢٦)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٦٤)، وجود إسناده ابن حجر في الفتح (١٣/٤٠٦، ٤٠٧) .
(٤) صحيح البخاري (١٣/٤٠٣) .
(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم (٦٦٢) .
(٦) تفسير الطبري (١٦/١٣٨) .

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا[1]

وقال عبدالله بن المبارك: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية.

وقال أبو عمر الطلمنكي[2]: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال أيضاً: أجمع أهل السنة، على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

وقال الشافعي - رحمه الله -: لله أسماء وصفات، لا يسع أحداً ردُّها. ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل. ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. انتهى[3].

وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين[4].

---

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٧)، والقصة ضعيفة، انظر: قصص لا تثبت (٢/ ٢١-٤٤) لمشهور حسن سلمان.

(٢) هو الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي الطلمنكي، حدث عن ابن عبدالبر وابن حزم، له مصنفات في السنة، وألف كتاباً في الرد على الباطنية، توفي سنة ٤٢٩.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦-٥٦٩).

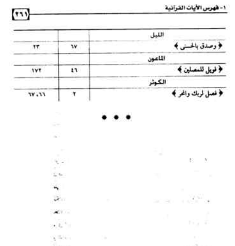
(٣) من فتح الباري (١٣/ ٤٠٧). وأخرج هذا الأثر ابن قدامة في إثبات العلو (١٠٩) (ص ١٢٤)، والذهبي في العلو رقم (٤١٠) (٢/ ١٠٦٢)، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٦٥).

(٤) انتهيت من نسخه ولله الحمد والمنة في يوم الأحد الموافق ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٤.

الفهـــارس

١- فهرس الآيات القرآنية

• • •



٢ – فهرس الأحاديث النبوية والآثار

* * *

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم

* * *

٤- فهرس الفوائد

* * *

٥- فهرس الموضوعات

* الفهارس

آثار المحقق :

١- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق .(تحقيق) دار أطلس الخضراء .

٢- آراء ابن القيم حول الإعاقة . دار الصميعي .

٣- آراء ابن تيمية حول الإعاقة . دار الصميعي .

٤- آراء ابن قدامة حول الإعاقة . دار الصميعي .

٥- التعليقات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) - تحت الطبع - .

٦- الدر النضيد على أبواب التوحيد للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) . دار الصميعي .

٧- عناية العلماء بكتاب التوحيد . دار طيبة .

٨- فتاوى عن الكتب . دار الصميعي .

٩- القصد السديد على كتاب التوحيد للشيخ فيصل المبارك (تحقيق) دار الصميعي .

١٠- كتبٌ أثنى عليها العلماء - قسم العقيدة - المجموعة الأولى .دار الصميعي .

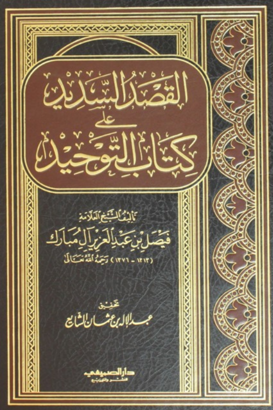
١١- الكتب التي تكلم عنها ابن القيم - تحت الإعداد -

١٢- كشف النقاب عن مؤلفات الأصحاب للشيخ سليمان بن حمدان (تحقيق) دار الصميعي.

١٣- اللؤلؤ الثمين من فتاوى الموقعين .مجلدان . دار الصميعي .

١٤- مختصر كتاب نكت الهميان في نكت العميان للصفدي . دار الصميعي .

١٥- ملخص منهاج السنة للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ . مكتبة الرشد .


القصد السديد
على
كتاب التوحيد
تأليف الشيخ العلامة
فيصل بن عبد العزيز آل مبارك
(١٣١٣ - ١٣٧٦) رحمه الله تعالى
تحقيق
عبد الإله بن عثمان الشايع
دار الصميعي